من عطاء التعبير بلفظي الحرث والزرع في القرآن الكريم

بقلم الدكتور

محمد السيد أحمد عبدالله

مدرس البلاغة والنقد

في كلية اللغة العربية بالزقازيق

١٤٣٨ هـ — ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، خلق لنا ما ينفعنا في هذه الحياة ف :﴿أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ الأنعام: ١٤١، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد :

فالقرآن هو البحر الزاخر بالعلوم المختلفة ، وهو ينبوع من العطاء لا ينضب ، لم يقصده ظمآن إلا ارتوى ، ولم يتجه طالب حاجة إلا انقضت حاجته ، فهو الشفاء لما في الصدور ، وهو اللسان العربي المبين ، التف حوله الدارسون ؛ لإعجابهم بأسلوبه ، وافتتانهم بلغته ، فبهروا بجمال ألفاظه، وروعة بيانه .

ومن اللافت للنظر تردد ذكر لفظي الحرث والزرع كثيرا في القرآن الكريم لأهميتهما .. فالحرث له دور كبير في تحسين بنية التربة ، حيث يكثر نمُوّ الجذور ويشتدّ عود النباتات، فتعمّر أكثر ، وتزداد المحاصيل كمًّا وجودة .

كما أن في حرفة الزرع المباشر مع انتخاب البذور الجيدة وتوفير بيئة ملائمة للإنبات ضمانا لنمو جيد يسهم في توفير كثير من المحاصيل اللازمة لإمداد البشر باحتياجاتهم الغذائية ، وهذا الذي يجعل للفرد بل للأمة

قيمة ، وقد قيل بأن الأمة التي لا تأكل مما تزرع تعد أمة متخلفة ، أو لا تعد ذات قيمة .

والزراعة من الأعمال التي حث ديننا الحنيف على ممارستها، وأكد على أهميتها، فقد ورد عنه ﷺ . أنه قال : «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»[١] ، وقال «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**»[٢] ، وحتى في الغزوات والفتوحات كان نبيّنا محمدﷺ . يوصي قادة الجيوش بعدم إتلاف الأشجار أو قطعها وتدميرها أو مسّها بأذى.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع ورغبة مني في نشر العلم النافع وإثراء المكتبة المعنية ببلاغة القرآن الكريم فقد عقدت العزم على أنظر في كتاب الله ، وأتتبع مواقع لفظي الحرث والزرع فيه ، وأن أكشف عن بعض أسرارهما، ودقائق نظمهما ، وإيحاءاتهما .

وجاء هذا البحث بعنوان : (من عطاء التعبير بلفظي الحرث والزرع في القرآن الكريم) .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب المزارعة . باب فضل الزرع والغرس ١٠٣/٣ . رقم ٢٣٢٠ . ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر . ط/ دار طوق النجاة . الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

(٢) الأدب المفرد للإمام للبخاري. باب اصطناع المال ١٦٨/١ رقم ٤٧٩ . ت/ محمد فؤاد عبد الباقي .ط/ دار البشائر الإسلامية – بيروت . الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩. ١٩٨٩م.

ولما كانت طبيعة البحث هى التى تحدد المناهج التى يصلح استخدامها فى البحث فإن المنهج الذى اتبعته فى هذا البحث هو منهج الاستقراء والتحليل للفظي الحرث والزرع ، وأستطيع أن أضع تفصيلا لذلك فى عدة نقاط على النحو الآتى:

أولا: حصر مواقع الحرث والزرع في القرآن العظيم ، وتصنيفها حسب الأغراض .

ثانيا: الحرص على معرفة أسرار لفظي الحرث والزرع من حيث التعريف والتنكير والذكر والحذف ، والتعبير بصيغة الاسم والفعل ، وإيثار صيغة على أخرى إلى غير ذلك مما يتصل بعلوم البلاغة معتمدا على كتب اللغة ، والتفسير ، وعلوم القرآن ، والبلاغة ، وغيرها مما هو مدون في هوامش البحث وفي الثبت الأخير منه.

ثالثا: بيان صلة لفظي الحرث والزرع بالتركيب من حيث ملاءمتها لما قبلها وارتباطها بما بعدها على نحو يؤصل المعنى ويزيد من ثرائه ؛ ذلك أن اللفظة لا يظهر معناها ولا تتم الإفادة منها وحدها ، أما إذا نظمت الكلمة فى جملة صارت دالة على نصيبها من المعنى ، وصار من حقنا أن نسأل لم آثر النظم الحكيم التعبير بهذه دون تلك ؟ ، ولم آثر التعبير بصيغة دون أخرى؟ .

وقد أحسن الشيخ محمد أبو زهرة حين قال : "إن كلمات القرآن لها في تناسق حروفها وتلاقي مخارجها إشراق بلاغي، ولكن لا ينكشف ذلك

الإشراق إلا بالتضام ، أي: إن الإشراق ذاتي، وهو الأصل ، ولكن شرط ظهوره تضام الكلمة مع غيرها"[١] .

فالأسلوب هو الذي يسمح لهذا الإشراق بالظهور؛ لأن ألفاظ القرآن متآخية فيما بينها ، تمهد كل لفظة لأختها التي تليها في النغم ، والمعنى ، والصوت ، والدلالة .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من : .

مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين ، وخاتمة ، وفهرس .

المبحث الأول خصصته لبيان الأغراض البلاغية لذكر لفظ الحرث ، وأما المبحث الثاني فقد خصصته لبيان الأغراض البلاغية لذكر لفظ الزرع ، وأما الخاتمة فقد بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

وأخيرا : فهذا العمل بَذرة ثالثة في حقل البلاغة القرآنية بعد الماجستير والدكتوراه ، وما فيه من جهد فهو جهد المقل ، وما فيه من سهو أو خطأ فأستغفر الله منه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الفقير إلى عفو ربه
محمد السيد أحمد عبدالله
مدرس البلاغة والنقد في
كلية اللغة العربية بالزقازيق

(١) المعجزة الكبرى القرآن . الشيخ محمد أبو زهرة . صـ٩٣ . ط/ دار الفكر العربي .

التمهيد

من أقدم المهن التي مارسها الإنسان منذ قديم الزمان هي الزراعة ، وكذا الحراثة المهيئة للزراعة ، تعلّم كيفية نثر البذور في التربة للحصول في النهاية على النباتات والثمار المختلفة التي شكلت مصدراً مهما لغذائه آنذاك، كما تعلمها ليفيد البشرية بأكملها .

ومن اللافت للنظر كثرة التعبير بلفظ الحرث في القرآن الكريم ، فقد ورد في إحدى عشرة آية ، أحد هذه الآيات استعمل فيها لفظ الحرث بصيغة الفعل المضارع ، وذلك في قوله . تعالى . : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ الواقعة:٦٣، والبقية بصيغة المصدر ، وذلك في قوله . تعالى . : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٥

وقوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤ .

وقوله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الشورى: ٢٠ .

وقوله : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٦.

وقولـه : ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣٨ ﴾ الأنعام : ١٣٨ .

وقوله : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧ ﴾ آل عمران: ١١٧ .

وقوله : ﴿ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴾ القلم : ٢٢ .

وقولـه : ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣ ﴾ البقرة: ٢٢٣ .

وقوله : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١ ﴾ البقرة: ٧١ .

وقوله : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ ﴾ الأنبياء: ٧٨ ، كما ورد لفظ الحرث معرفة ونكرة .

والمتتبع لكلمة الحرث في كتب اللغة والتفسير يلحظ أن لها دلالة حقيقية هي : شق الأرض بآلة حديدية ونحوها ، وإثارة تراب الأرض ، وقلب عاليها سافلها .

وهذا ما وضحه ابن سيده في المخصص ، وزاد ببيان مفاهيم أخرى متعلقة بالحرث وإصلاح الأرض[١] ، ولعل ذلك ما قصده الزمخشري في أساس البلاغة بقوله : "حرث الأرض: أثارها للزراعة وذللها لها"[٢] ، وفي هذا المعنى قال الحموي في المصباح : "وحرث الأرض حرثا أثارها للزراعة فهو حراث"[٣] ، وقال عبد القادر البغدادي : "والحرث: مصدر حرث الأَرْض إذا أثارها للزِّرَاعَة بالمحراث"[٤] ، وجاء في المعجم الوسيط : "حرث الأَرض حرثا شقها بالمحراث ليزرعها"[٥] .

وإذا انتقلنا من بيان معناها الوضعي في المعاجم إلى بيان معناها في كتب التفاسير نلحظ أن هذا . أيضا . هو ما ذهب إليه ابن عطية بقوله "والحرث في اللغة شق الأرض للزراعة ، ويسمى الزرع حرثا للمجاورة

---

(١)المخصص لابن سيده ٩٥/٣ . ت/ خليل إبراهم جفال .ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

(٢) أساس البلاغة للزمخشري١٧٨/١ . ت/ محمد باسل عيون السود .ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للحموي ١٢٧/١ .ط/ المكتبة العلمية – بيروت .

(٤) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٤١/١٠ .تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون .ط/ مكتبة الخانجي القاهرة . الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .

(٥) المعجم الوسيط . المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ١/ ١٦٤.ط/ دار الدعوة .

والتناسب"[١] ، وأيده في ذلك أبو حيان بقوله : "والحرث كما تقدم في قصة البقرة شق الأرض للزرع ، ثم سمي الزرع حرثا"[٢] ، وتبعهما كثير من العلماء منهم على سبيل المثال : الشهاب في حاشيته قال : "وفلاحة بتشديد اللام بمعنى حراثين من فلح الأرض شقها"[٣] .

وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى الدلالة الأصلية للفظ الحرث بقوله: "والحرث أصله شق الأرض بآلة حديدية ليزرع فيها أو يغرس"[٤] ، وممن أشار إلى ذلك الشيخ أبو زهرة قال : "وأصل كلمة " حرث " فلح الأرض وإلقاء البذر فيها ، وأطلقت فى مجاز مشهور على ما هو نتيجة ذلك وهو الزرع"[٥] ، وقد التفت إلى ذلك . أيضا . محمد نور الدين المنجد بقوله : "والأصل في الحرث : شق الأرض للزرع"[٦] ، وقد استحضر مصطفى المنفلوطي هذا المعنى بقوله : "إن البذور تلقى في الأرض فلا تنبت إلا إذا حرث الحارث تربتها وجعل عاليها سافلها"[٧]

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٢٦٦/١ ، ت/عبد السلام عبد الشافي محمد . دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة : الأولى ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٤٢٧/٢ . ت/ صدقي محمد جميل .ط/ دار الفكر – بيروت .الطبعة: ١٤٢٠ هـ

(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٦٧/٢ . ط/ دار صادر . بيروت .

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور التونسي ١٠٦/٨ . ط/دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م .

(٥) زهرة التفاسير لأبي زهرة . ١/ ١٣٧٥ . ط/ دار الفكر العربي .

(٦) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق محمد نور الدين المنجد صـ١١٨ .ط/ دار الفكر المعاصر . دمشق . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م .

(٧) النظرات : لمصطفى لطفي المَنْفَلُوطي ٩٨/١ . ط/ دار الآفاق الجديدة . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م .

وللحرث دلالات أخرى مجازية بجانب الدلالة الحقيقية ، وقد ورد كلا المعنيين في كتاب الله ، وهذه الدلالات المجازية هي دلالة الحرث على : النبات ، وعلى التربة الزراعية ، وعلى الثمار، وعلى الثواب ، وعلى الجماع في الفرج ، قال المنجد : "فدلالة الحرث على منبت الولد دلالة بلاغية وليست حقيقية ، ولا يصح عدها من المشترك اللفظي"(١) .

ومن اللافت للنظر . أيضا . كثرة دلالة الحرث على النبات في القرآن، كذلك شاع إطلاق لفظ الحرث على النبات في الشعر العربي ، من أمثلة ذلك : .

قول الشاعر : .

كما يتمنى صاحب الحرث عطشت ... مزارعه غيثا غزيرا ربابها(٢).

وقول الشاعر : .

ولما هبطنا الحرث قال أميرنا ... حرام علينا الخمر ما لم نحارب(٣).

ومن المعلوم أن لكل تعبير أسراره وأغراضه الخاصة ، يكشف عنها السياق ،والمقام ،وقرائن الأحوال ، وهذا ما بينته بفضل الله . تعالى . في صلب البحث .

---

(١) المصدر نفسه ١١٨ .

(٢) الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي لحسين عطوان صـ٢٥٠ .ط/ دار الجيل . الطبعة: طبعة ثانية منقحة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩ م .

(٣) قصة الأدب في الحجاز . تأليف : عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجى صـ٤٨٥ . ط/ مكتبة الكليات الأزهرية .

ونتحول من لفظ الحرث إلى لفظ الزرع الذي كثر التعبير به في القرآن العظيم ، فقد ورد في ثلاث عشرة آية ، وتنوعت صيغه ، فقد ورد بصيغة اسم الفاعل (زُرَّاع) على وزن (فُعَّال) صيغة مبالغة جمع (زَرَّاع) ، وهم من يحترفون الزراعة ، وذلك في قوله . تعالى . : ﴿ ... يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ... ﴾ الفتح: ٢٩، وبصيغة المصدر (زَرْع) ، وذلك في قوله . تعالى . : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ الزمر: ٢١ .

وقولـــــه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ السجدة: ٢٧ .

وقولـه :﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ۚ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الرعد: ٤ .

وقولـه : ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الأنعام: ١٤١ .

وقوله : ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ النحل: ١١ .

وقوله : ﴿ ... وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ... ﴾ الفتح: ٢٩ .

وقولـــــــه : ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الكهف: ٣٢ .

وقولـــه : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٧ .

كما ورد لفظ الزرع بصيغة الفعل المضارع (تزرع) ، وذلك في قوله . تعالى . :﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ يوسف: ٤٧ .

وقوله : ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ الواقعة: ٦٤ .

وبصيغة الجمع (زروع) جمع (زرع)، وذلك في قوله . تعالى .:﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ الشعراء: ١٤٦ – ١٤٨.

وقوله:﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ الدخان: ٢٥ ، ٢٦ .

وبصيغة (زارعون) جمع (زارع) ، وذلك في قوله . تعالى . : ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ الواقعة: ٦٤ ، كما ورد نكرة ومعرفة .

كما أن المتتبع للفظ الزرع في كتب المعاجم يلحظ أن الدلالة الحقيقية لها هي طرح البذر في الأرض ، وهذا ما قرره الجوهري في الصحاح ، وابن فارس في مقاييس اللغة ، وابن منظور في لسان العرب ، والفيروز آبادي في القاموس المحيط ، والزبيدي في تاج العروس(١) ، ودلل لذلك بحديث النبيﷺ «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ، فَلْيَزْرَعْهَا أَوْ لِيَمْنَحْهَا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ»(٢)، ولعل هذا هو ما فهمته من قول الزمخشري في أساس البلاغة : "وأعطني زرعة أزرع بها أرضي بذراً"(٣) ، ويحمل ما سوى ذلك على المجاز .

وقد استخدمت الدلالتان الحقيقية والمجازية في القرآن الكريم . الدلالة الحقيقية معروفة ، وأما الدلالة المجازية فهي دلالة الزرع على النبات، والثمر ، والنبي وأصحابه .

---

(١) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ١٢٢٤/٣ ، ١٢٢٥.ت/ أحمد عبد الغفور عطار .ط/ دار العلم للملايين – بيروت . الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥١/٣. ت/عبد السلام محمد هارون .ط/ دار الفكر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ولسان العرب لابن منظور ١٤١/٨ . ط/ دار صادر .بيروت الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ ، القاموس المحيط للفيروزآبادى ٧٢٤/١ . ت/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي .ط/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان .الطبعة : الثامنة ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي ١٤٦/٢١. ت/ مجموعة من المحققين . ط / دار الهداية .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب المزارعة . باب ما كان من أصحاب النبي ١٠٧/٣ . رقم ٢٣٤٠ .

(٣) أساس البلاغة ٤١٣/١ .

ومن اللافت للنظر . أيضا . كثرة دلالة الزرع على النبات في القرآن ، كما كثر إطلاق لفظ الزرع على النبات في ديوان العرب ، من أمثلة ذلك : . قول الشاعر :.

والنّسم مثل الزّرع آن حصاده ... منه الحصيد ومنه ما لم يحصد(١)

وقول الشاعر : .

وَتَنَوَّحَ الزَّرْعُ الْفَتِىُّ بِسُنْبُلٍ ... غَضِّ المكَاسِرِ أَخْضَرِ الجَنَبَاتِ(٢)

وإذا كان الله . عز وجل . قد ذكر لفظ الزرع بدلالته المجازية على النبات على وجه الإجمال ، فإنه . أيضا . قد خصص بعض أنواع النبات ومنتجاته بالذكر لأهميتها ، وهي النخل ، والعنب ، والزيتون ، والرمان ، والريحان ، والتين ، والبصل ، والعدس ، والقثاء .. إلخ ، كما ذكر القرآن أجزاء النبات الأساسية وهي الجذر ، والساق ، والفرع ، والأوراق ، والثمار ، والسنابل في مواضع عدة .

ومن خلال ما تم سرده يتضح للقاريء اشتراك الحرث والزرع في الدلالة . المجازية . على النبات والثمر ، كما أن الناظر للدلالة الأصلية لكل من لفظي الحرث والزرع يلحظ التلازم بينهما ، فالحرث والزرع متعلقان ببعض لا ينفك أحدهما عن الآخر، أو بمعنى آخر لأن الثاني مترتب على الأول ؛ ولأجل هذا آثرت الجمع بينهما في هذا البحث ، كما أستطيع أن

---

(١) الحيوان للجاحظ ٤٧٩/٤ . ط/ دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ .

(٢) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم لأبي بكر الصولي صـ١٨١ . ط/ مطبعة الصاوي: ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م .

آخذ مأخذا على من ذهب إلى أن دلالة الحرث الأصلية هي إلقاء البذر في الأرض ، وأن دلالة الزرع الأصلية هي الإنبات بأنه تنقصه الدقة .

وذكر حديث النبي . ﷺ . عن الزرع والغرس الذي ذكرته آنفا يستدعي أن أشير إلى الفرق بين الغرس والزرع ، وهنا أقول وبالله التوفيق أن الغرس يعني الإثبات ، أي وضع الشتلة فى التربة أو النباتات الصغيرة لتستمر فى النمو ، فالغرس فلا يكون إلا للفسائل أو الأشجار الصغيرة أو الأعواد .

أما الزرع يكون للفسائل وللبذور فهو أعم ، مثلا أقول : زرعت الأشجار، زرعت القمح ، ولا أقول : غرست القمح ؛ لأن القمح لا يكون بغرس أعواد ، أو فسائل ، أو أشجار صغيرة ، وإنما يكون بإلقاء الحب ودفنه في الأرض ، كما أن الفرق بين الحرث والزرع هو أن الحرث أوائل الزرع ومقدماته ، والزرع أواخر الحرث .

وإذا استعرضنا الفرق بين الزرع والنبات نجد أن الزرع هو : إلقاء البذرة في الأرض ، وأن النبات هو : ما يتكون بعد ذلك من الجذر ، والساق، والأوراق ، والأزهار ، والثمار ، والتعريف العام له أنه : كل ما يخرج من الأرض بغرض الغذاء ، أو العلاج ، أو الزينة ، وقد كثر في القرآن إطلاق الزرع على النبات على طريقة المجاز المرسل ، وهذا ما يتضح للقاريء إن شاء الله في ثنايا البحث .

وقد اختصت البلاغة بعلومها المختلفة تبيينا وتوضيحا لما حملت ألفاظ القرآن وتراكيبه من معان تفهم في كل مكان وزمان بما يوافق المقام.

ومما هو معلوم أن كل لفظ في القرآن الكريم مختص بمكانه لازم له ، ولا يمكن بأية حال من الأحوال تغييره ، أو تبديله ولو بأقرب الألفاظ إليه

معنى ولفظا ، وكل لفظ قرآني له من الجمال ما يدفعنا للتأمل فيه والتمتع به من نواح متعددة أجراسا وإيقاعات، معاني وإشعاعات ، ولكل لفظ ظلال وإيحاءات ، "ولسنا نستطيع إحصاء تلك النواحي في جمال ألفاظ القرآن إحصاء ، ولكننا نضرب من الأمثال على مقدار طاقتنا ، ومن غير أن نصل إلى أقصى الغاية، وإنما نسدّد ونقارب ، بل المقاربة فوق طاقتنا، وقد سبقنا إلى تلك المحاولة فحول البيان" (١) .

ومن المعلوم . أيضا . أن ألفاظ القرآن كلها جاءت على درجة واحدة من الإعجاز والفخامة والجلال ، إلى جانب السلاسة والعذوبة والخفة والجمال ، ذلك أن " القرآن يتأنق في اختيار الألفاظ ، ويستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة دون سواها ، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفا ، بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديدا " (٢) .

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن . صـ٧٩ .

(٢) خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية .د/ عبد العظيم المطعني.: ج١/ ٢٤٥ . .ط/ مكتبة وهبة . الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، وينظر أيضا : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم .د/ محمد بن عبد الله دراز . صـ ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ .اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية ، وقدم له د/ عبد العظيم المطعني . ط/ : دار القلم للنشر والتوزيع . ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م

وبعد هذا التمهيد الذي بينت فيه مواقع لفظي الحرث والزرع في النظم القرآني إجمالا أنتقل إلى بيان مواقعهما تفصيلا ؛ للكشف عن أغراضهما ، ودقائق نظمهما ، وإيحاءاتهما ، وتعدد دلالتهما ...

المبحث الأول
الأغراض البلاغية لذكر لفظ الحرث .

وفيه ثمانية لطائف

اللطيفة الأولى : استدعاء الحرث والزرع لغرض التذكير بعجيب صنع الله - عز وجل - ، والتدليل على قدرته ، وإظهار إحسانه .

اللطيفة الثانية : انتخاب الحرث لغرض التوبيخ ، والعظة.

اللطيفة الثالثة : استعمال الحرث لغرض التأكيد على إتيان النساء في مكان إنجاب الذرية .

اللطيفة الرابعة : استخدام الحرث لغرض بيان ضياع ما ينفقه الكافرون في وجوه الخير ، وعدم نفعه لهم في الآخرة.

اللطيفة الخامسة : استخدام الحرث لغرض استثارة الذات.

اللطيفة السادسة : استخدام الحرث لغرض التأكيد على اشتراط العمل .

اللطيفة السابعة : استدعاء الحرث لإظهار المكرمة والترفيه .

اللطيفة الثامنة : استخدام الحرث لغرض بيان مراعاة المصالح عند الاجتهاد .

اللطيفة الأولى

استدعاء الحرث والزرع لغرض التذكير بعجيب صنع الله ـ عز وجل ـ ، والتدليل على قدرته ، وإظهار إحسانه .

كثر دوران كلمة الحرث في النظم القرآني بدلالتها الحقيقية والمجازية ، كما كثر مجيئها بصيغة المصدر ، وقلّ بصيغة الفعل ؛ حيث لم تأت إلا مرة واحدة بصيغة المضارع ، كذلك وقعت نكرة ، ومعرفة ، وتنوعت أغراضها ، منها التذكير بعجيب صنع الله . عز وجل . ، والتدليل على قدرته ، وإظهار إحسانه ، وآية ذلك قوله . تعالى . : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

الواقعة: ٦٣ ــ ٦٥ .

هذا النظم الحكيم يدعو الزراع أن ينظروا إلى النبات الذي ينبت بين أيديهم ، وينمو ويؤتي ثماره ، ما دورهم فيه ؟ إنهم يحرثون ، ويلقون البذور التي صنعها الله ، فمن منا صنع البذور ؟ وبمجرد إلقاء البذور ينتهي دور الزراع ، وتأخذ القدرة الإلهية في عملها المعجز الخارق العجيب .

الغرض من ذكر لفظي الحرث والزرع في هذا النظم : .

ذكرت سلفا أن لكل لفظ في النظم القرآني المعجز ظلاله ، وإيحاءاته، وأغراضه ، وإذا تطرقنا إلى الغرض من ذكر لفظي الحرث والزرع في هذا النظم الحكيم فإننا نستشعر : .

أولا : امتنان الله على عباده ؛ ليشكروه .

ثانيا : التدليل على عظمته ، وكمال قدرته، ومطلق مشيئته، وشدة حاجة الخلق إليه . سبحانه . ، وقد ذكر مؤلف كتاب عالم النبات في القرآن أن عملية إنبات البذور تعد من أعقد العمليات التي تتم في عالم النبات ، وفيها تتجلى بوضوح قدرة الخالق العظيم ، . سبحانه وتعالى . فالجنين الموجود في البذرة يعتمد أثناء فترة الإنبات على الغذاء الذي خزنه له الله في الفلقات في حالة النبات ثنائي الفلقة ، أو في الإندوسبيرم في حالة النبات أحادي الفلقة ، وعندما تتكون الأوراق الفلقية عندها فقط يستطيع النبات النامي القيام بعملية البناء الضوئي وتكوين غذائه بنفسه(١).

ثالثا: التدليل على إمكان البعث ، فالأجساد تتكون في باطن الأرض ثم تنشق الأرض لخروجها ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ ق: ٤٤، كما يتكون النبات في بطن الأرض ثم تنشق عنه ، وهذا التشبيه . الضمني . مقصد من مقاصد الحرث والزرع في القرآن ؛ لإقناع ذوي العقول الراجحة ، والفطر السليمة بالبعث ، والحرص على حسن الخاتمة .

معنى الحرث وسر التعبير به: .

ولفظ (**الحرث**) في هذا النظم على حقيقته ، وهو شق الأرض ، وإثارة تراب الأرض وقلب عاليها سافلها ؛ لكي تتخلخل أجزاؤه ، ويتعرض للهواء والشمس، والنص عليه هنا يشير إلى أن عملية الحرث مفيدة جدا في

---

(١) ينظر عالم النبات في القرآن الكريم تأليف الدكتور عبد المنعم فهيم الهادي ، والدكتورة دينا محسن بركة صـ٥٩ . ط/دار الفكر العربي . الطبعة الأولى ١٤٥١هـ . ١٩٩٨م .

عملية الزراعة ؛ حيث إن تقليب التربة قبل الزراعة وتركها مدة ليتخللها الهواء والشمس، فيه إحياء للتربة وتجديد لنشاطها .

ومن النظرات الموفقة ما جاء لدى الطاهر بن عاشور صاحب التحرير إذ يشير إلى أن "ظاهر قوله : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾أنه الأرض إلا أن هذا لا يلائم ضمير تزرعونه ، فتعين تأويل ما تحرثون بأن يقدر : ما تحرثون له ، أي :لأجله على طريقة الحذف والإيصال ، والذي يحرثون لأجله هو النبات ، وقد دل على هذا ضمير النصب في ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ ﴾؛ لأنه استفهام في معنى النفي ، والذي ينفى هو ما ينبت من الحب لا بذره"[١] .

ولعل القاريء يلحظ أن هذا هو الموطن الوحيد الذي جمع فيه بين الحرث والزرع ، أو بمعنى آخر صاحب فيه الزرع الحرث ، والزرع في حقيقته . كما علمنا سلفا في التمهيد . بذر الحب في الأرض ، وقد صرح بهذا ابن منظور ، فقال : "زَرَعَ الحَبَّ: بَذَره ، وقيل : الزرْع طَرْحُ البَذْر"[٢] ، وهذا المعنى الحقيقي غير مقصود في الآية ، وإنما المراد به الإنبات على طريقة المجاز المرسل ، فعبر بالوسيلة وأراد الغاية ، أو بالسبب وأراد المسبَب ، وإلى هذا المعنى ذهب جمع كثير من أهل العلم منهم على سبيل المثال

(١) التحرير والتنوير ٣٢٠/٢٧ .

(٢) لسان العرب ١٤١/٨ .

الراغب قال : "الزرع : الإنبات"[١] ، وصاحب المنار حيث قال : "فعلم من السياق كله أن المراد بالزرع في قوله: ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾؟ الإنبات لما يزرع حتى يصير حبا وثمرا يؤكل"[٢] .

مجيء لفظي الحرث والزرع بصيغة المضارع: .

وأستشعر من مجيء لفظي الحرث والزرع بصيغة المضارع أن الله . عز وجل . يريد أن ينقل الصورة الماضية ويجعلها بين يدي الحاضر بصورة متجددة في مخيلة المتلقي والقاريء ؛ لأن الفعل المضارع يتضمن زمنين الحاضر والمستقبل ، تأمل قوله . تعالى . :﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾، فالفعل الأول (أَفَرَءَيْتُمْ) ماضي ، والثاني (تَحْرُثُونَ) مضارع ، وهذا التحول من الماضي للمضارع له مقصد بياني ، وهو استحضار الصورة ، وكأن عملية الحرث والزرع حالة تحدث أمام القاريء وبين يديه، بخلاف لو قال : حرثتم ، وزرعتم بالماضي ، ولا يخفى ما في استحضار الصورة في هذا النظم من لفت الأنظار إلى موضع القدرة والاعتبار ، كما لا يخفى ما في التعبير بالمضارع من تجدد واستمرار حدوث هذه العملية من شق الأرض ، ووضع البذور ، والإنبات .

ترتيب الحرث والزرع: .

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى صـ ٣٧٩ . ت/: صفوان عدنان الداودي ط/: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .

(٢) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا١٠/١٨٠ .ط/: الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة النشر: ١٩٩٠ م

ومن الملحوظ ـ أيضا ـ أن الله ـ تعالى ـ بدأ بقوله : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾الواقعة: ٥٨ ، ٥٩ ، وثنى بقوله : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾الواقعة: ٦٣ ، ٦٤ ، وثلث بقوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴾الواقعة: ٦٨ ، وختم بقوله :﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ الواقعة: ٧١ ، فهل لهذا الترتيب مغزى ؟، وهل كان يمكن تقديم أحد هذه النعم على ما وقع في الآية متقدماً عليه؟ .

يجيب على هذا الإمام الغرناطي فيقول : "والجواب عن هذا أن ذكر المتنعم متقدم في الرتبة على ما ذكر من النعم ؛ لأن النعم إنما خلقت للمتنعم بها ومن أجله ، فذكره أولاً بين اللزوم ، فلهذا تقدم ذكر خلق الإنسان المتنعم بالنعم فقال ـ تعالى ـ : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ ، وأما تقديم الأكل على الشرب فمعقول الرتبة ، وبحسب ذلك ورد المقول المنقول فقال ـ تعالى ـ : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ ﴾ الطور: ١٩ ، فالشرب في الغالب للاستمراء ، وليس أوليا في الغذاء ، ولا متعمدا في الجسوم الحيوانية للنماء ، وإنما ورد ذكره مع الأكل تاليا لكونه في الرتبة ثانيا ..، وأما النار فللمنافع من الإنضاج والتسخين والإضاءة ، فهي متممة وليست كالأكل والشرب مدعمة، إذ لم تكن كالأولى في الغذاء والنماء ، فليس من المناسبة تقدم ذكرها على الماء"(١).

الاستفهام عن الحرث والزرع : .

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للغرناطي ٤٦٦/٢ . وضع حواشيه: عبد الغني الفاسي .ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

وأحب أن أشير إلى أن الاستفهام هنا ليس المراد منه طلب حصول العلم بمنبت الزرع . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وإنما المراد تقرير المخاطبين بأنه . سبحانه . هو المنبت ، وهذا ما تشير إليه . أيضا . صيغة القصر﴿ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ أي قصر الإنبات على الله ، وقد عده الطاهر بن عاشور قصر مبالغة لعدم الاعتداد بزرع الناس(١)، وأرى أن حمله على القصر الحقيقي أولى ؛ لأن المقصود في الآية عملية الإنبات ، وهي حقيقة فعل من أفعال الله لا دخل للإنسان فيه .

كذلك أستشعر في هذا الاستفهام إنكار وتوبيخ للمنكرين للبعث ، على قلة عقلهم بجهلهم لقدرة الله ، وإنكارهم إخراج الموتى من الأرض وإعادتهم ، وفرحهم بقدرتهم وفعلهم وزرعهم ، وما نبَتَ ليس بقدرتهم ولا فعلهم، وإنما الله هو الذي أنبته بلطفه ورحمته ، ولذلك قدم المسند إليه (أنتم) على الخبر الفعلي (تزرعونه) لتسليط الإنكار عليهم ، إذا ليس المقصود إنكار الزرع ، ولكن المقصود هو إنكار أن يكون هم الفاعلين للإنبات ؛ لأجل هذا قدمهم ، كذلك : أضاف الحرث إليهم والزرع إليه . تعالى . ؛ لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم ، والزرع من فعل الله . تعالى . وينبت على اختياره لا على اختيارهم .

فائدة التصريح باسم الفاعل ﴿ الزَّارِعُونَ ﴾: .

ويلحظ أن الله . تعالى . صرح بذكر ﴿ الزَّارِعُونَ ﴾ مع جواز الاكتفاء بقوله﴿ أَمْ نَحْنُ ﴾ ؛ ليؤكد معنى نسبة الزرع له وحدَه ، ولمراعاة التناغم والتماثل في الفواصل .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٢١/٢٧ .

تتميم للفظ الزرع في هذا الموضع: .

كما تلحظ أيها القاريء الكريم أن الضمير في (لجعلناه) في قوله . تعالى . :﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾الواقعة : ٦٥ عائد على الزرع ، واللام مفيدة للتأكيد ، ومما هو معلوم لدى علماء اللغة كثرة اقتران جواب (لو) بهذه اللام إذا كان ماضياً مثبتاً وكثرة تجرده عنها ، أما الضمير في قوله :﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴾ القواقعة :٧٠ فهو عائد على الماء ، وإنما أكد الفعل في الزرع لأن الناس تستبعد عادة أن يتعرض زرعها لآفة ، أو حريق ، أو تلف، ومن رحمته . سبحانه . لم يجعل هذا أمرًا معتادًا في زرع الناس؛ بل حفظه لهم ، على حين أنه لم يؤكد الفعل في الماء ؛ لأن الماء العذب معروف أن له شبيهًا ونظيرًا، وهو الماء المالح، وهو قريب ومُشاهَد في دنيا الناس .

وقد نقل ابن عاشور عن الشيخ محمد بن سعيد الحجري التونسي في حاشيته على شرح الأشموني للألفية المسماة (زواهر الكواكب) عن كتاب (البرهان في إعجاز القرآن) أنه قال : "فإن قيل : لم أكد الفعل باللام في الزرع ، ولم يؤكد في الماء ؟ قلت : لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يعود حطاما مما يحتمل أنه من فعل الزارع ، أو أنه من سقي الماء ، وجفافه من عدم السقي ، فأخبر . سبحانه . أنه الفاعل لذلك على الحقيقة ، وأنه قادر على جعله حطاما في حال نموه لو شاء ، وإنزال الماء من السماء مما لا يتوهم أن لأحد قدرة عليه غير الله . تعالى . "[١] .

---

(١) التحرير والتنوير ٣٢٥/٢٧ .

اللطيفة الثانية

انتخاب الحرث لغرض التوبيخ ، والعظة .

ورد انتخاب لفظ الحرث لغرض التوبيخ في قول الله . تعالى . :

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٥ .

الهدف من ذكر الحرث في هذا النظم: .

يهدف ذكر الحرث في هذا النظم الحكيم إلى توبيخ المنافقين وذمهم على إهلاكهم الحرث والنسل .

ما يحمله لفظ الحرث من معان : .

يحتمل أن يراد من لفظ الحرث في هذا النظم الحكيم أحد هذين المعنيين : .

الأول : النبات ، وإهلاكه : أي : إحراقه ، أو نحوه ، وهذا ما ذهب إليه الطبري ، وبناء عليه يكون التعبير عن النبات بالحرث مجازا مرسلا علاقته السببية ؛ لأن النبات ناتج عن إثارة الأرض ، أو علاقته المحلية ، أو التلازم ، وفيه إشارة إلى أنه يهلك ما تعب فيه غيره بشق الأرض وتهيئتها للإنبات .

الآخر : التربة الزراعية ، وإهلاكها يكون بتدمير التربة الزراعية بالتجريف ، أو هجر الزراعة ، أو وضع مواد كيميائية ضارة ، أو استخدام أسلحة نووية ، وفيه إشارة إلى أنه يهلك مكان الإنبات بحيث لم يعد صالحا للإنبات مرة ثانية ، وفي هذا إبراز لقبح ما يفعله ، وشدة حقده وشره .

والنسل : مأخوذ من : "نسل الشيء إذا انفصل عن غيره وسقط"[١] ، والمراد به في هذه الآية : ما خرج من كل أنثى من أجناس الحيوان ، وبإهلاكه : قتله ،

على نحو ما قرره الطبري ٠

تقديم إهلاك الحرث : .

وإنما قدم إهلاك الحرث على إهلاك النسل ؛ لأنه إذا هلك السبب هلك المسبب من غير عكس ، فحياة الأرض هي سبب لحياة الحيوان ، فلما كانت بهذه المنزلة جعلت مقدمة في الذكر ٠

تخصيص إهلاك الحرث بالذكر بعد ذكر عموم ما يشمله: .

ومن الملحوظ أن إهلاك الحرث والنسل من جملة الإفساد في الأرض ، فذكرهما بعد ذكر الإفساد في الأرض يعد من قبيل ذكر الخاص بعد العام ، وإنما خصهما بالذكر لكونهما أظهر أفعال من نزلت فيه هذه الآية وهو : الأخنس بن شريق الثقفي، وهو حليف لبني زهرة ، فقد روي "أنه أقبل إلى النبي . ﷺ . بالمدينة، فأظهر له الإسلام، فأعجب النبي . ﷺ . ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم أني صادق ، وذلك قوله:" ويشهد الله على ما في قلبه" ، ثم خرج من عند النبي . ﷺ . فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع ، وعقر الحمر، فأنزل الله . عز وجل . : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ

(١) ينظر : المفردات ١/ ٨٠٢ ، ولسان العرب ٦٦٠/١١ ، والمعجم الوسيط ٩١٩/٢ ٠

ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾"[١] ، وبناء على ما ذكر تكون الألف واللام في قوله : ﴿ٱلْأَرْضِ ﴾ للعهد العلمي أي : أرض المدينة .

ويجوز حمل الآية على عموم المنافقين ، فيكون التخصيص لبيان أن في إهلاكهما غاية الفساد ؛ لأنه لا قوام للناس إلا بهما ، فإفسادهما تدمير للإنسانية ، وهذا ما بينه أبو حيان بقوله : "والفساد يكون بأنواع من: الجور، والقتل، والنهب، والسبي، ويكون: بالكفر ، ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ عطف هذه العلة على العلة قبلها، وهو: ليفسد فيها ، وهو شبيه بقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ البقرة: ٩٨ ؛ لأن الإفساد شامل يدخل تحته إهلاك الحرث والنسل ، ولكنه خصهما بالذكر ؛ لأنهما أعظم ما يحتاج إليه في عمارة الدنيا، فكان إفسادهما غاية الإفساد"[٢].

وهذا موضع آخر سياقه : بيان تقاليد المشركين في الحرث ، وقد ورد فيه انتخاب لفظ الحرث لغرض التوبيخ ، قال ـ تعالى ـ : ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٦، وقال ـــ تعالى ـــ : ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٢٩/٤ ، ٢٣٠ ت/: أحمد محمد شاكر. ط/: مؤسسة الرسالة . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٢) البحر المحيط ١٢٤/٢ ، ١٢٥ ، وينظر. أيضا . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٣٥٢/٢ ، ٣٥٣ ت/: الدكتور أحمد محمد الخراط . ط/: دار القلم، دمشق .

بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الأنعام : ١٣٨ .

يمثل الحرث هنا أحد الأشياء التي تصَرَّف فيها المشركون ، فشرعوا فيها أحكاما لم يأذن بها الله ، وذلك أن المشركين جعلوا لله مما خلق من الحرث والأنعام نصيبا لله يعطونه للمساكين وللضيوف وغيرهم ، وجعلوا لأصنامهم نصيبا آخر يقدمونه لسدنتها ، ومع أنهم قسموا لكنهم كانوا يسرقون حق الله ﴿ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ ﴾ لقد كان لهم فى الهلاك تقسيم معين، وفى الزيادة تقسيم آخر، فإذا جاءت آفة للزرع وأهلكته أخذوا ما خصصوه لله وأعطوه للشركاء ، وقالوا: إن ربنا غنى!، وبرغم أنهم قسموا لكنهم لم يوفوا بالقسمة التى فرضوها ورضوا بها ، وكذلك فى الأنعام يقدرون عددا من الأنعام ويقولون هذه لله وتلك للشركاء ، فإن ماتت بهيمة من المنذور لله لم يعوضوها ، وإن ماتت بهيمة منذورة للأصنام يعوضوها ، ويأخذوا بدلا منها من القسم الذى نذروه لله [١] .

الغرض من ذكر الحرث بناء على ما ذكر سلفا : .

وأتساءل ما المقصود من حكاية أمثال هذه المذاهب الفاسدة : أقول : أن يعرف الناس قلة عقول القائلين بهذه المذاهب ، وأن يصير ذلك سببا لتحقيرهم في أعين العقلاء، وألا يلتفت إلى كلامهم أحد .

المراد بلفظ الحرث في هذا النظم: .

(١) ينظر: تفسير الشعراوى ١/ ٢٧٥٠ ،مطابع أخبار اليوم .

والذي لابد من الوقوف عليه في هذا النظم ومعرفته معرفة دقيقة هو أن المراد **بالحرث** في هذه الآية هو المحروث لأجله ، وهو النبات والشجر المثمر ، وقد لحظ هذا الشيخ الطاهر بن عاشور فقال: "والحرث أصله شق الأرض بآلة حديدية ليزرع فيها أو يغرس ، ويطلق هذا المصدر على المكان المحروث ، وعلى الأرض المزروعة والمغروسة .. ، ومنه قوله ـ تعالى . : ﴿ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ القلم: ٢٢ ، فسماه حرثا في وقت جذاذ الثمار "(١).

عطاء التعبير بلفظ الحرث هنا : .

والمغزى من إطلاق الحرث على النبات والشجر المثمر ـ مع أن الحرث هو مجرد إعداد الأرض للزراعة بشق الأرض وتقليب التربة ـ هو أن الحرث سبب نماء النبات وثمره وزيادته وجودته ، وليُلفت أنظارنا إلى أهمية الحرث ، فالحرث له دور كبير في تحسين بنية التربة(٢) .

تقديم الحرث في موضع وتأخيره في آخر : .

ومما هو معلوم أن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول ، والمتأمل في هذا النظم يلحظ تقديم لفظ الحرث على لفظ الأنعام فى الآية ١٣٦، وعلى العكس من ذلك جاء تقديم لفظ الأنعام على لفظ الحرث فى الآية ١٣٨، فما السر في ذلك ؟ أقول .

---

(١) التحرير والتنوير ٨/١٠٦ .

(٢) ينظر : الإشارات العلمية في القرآن الكريم (علم النبات في القرآن الكريم) . تأليف د/ السيد عبد الستار المليجي صـ ١٤٧ . .ط/ الهيئةالمصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥ .

بعون الله . إنما قدم الحرث على الأنعام ؛ لأنه . تعالى . ذكر الفعل "ذرأ" أى خلق ، فناسب ذلك تقديم الحرث على الأنعام ؛ لأنه أسبق فى الوجود ؛ ولأنه سبب فى حياة الأنعام.

بينما قدم الأنعام على الحرث ؛ لأن الضمير فى قوله : ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعود على المشركين ، فناسب ذلك تقديم الأنعام على الحرث ؛ لأن المنفعة عندهم فى الأنعام أهم، فمنها يأكلون وعليها يركبون ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها يفرشون ويستدفئون.

وقد جاء . أيضا . تقديم الأنعام على الحرث فى قوله . تعالى . : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ آل عمران : ١٤ ؛ لأن الجمال عندهم فى الأنعام أهم، فهى المال المتحرك المبهج فى الإراحة والتسريح .

كما ألحظ . أيضا . : تأخير قوله : ﴿ نَصِيبًا ﴾ عن المجرورين ﴿ لِّلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ ﴾ ؛ والغرض منه : الاهتمام بالمقدم، والتشويق إلى المؤخر .

مجي لفظ الحرث معرفا بالألف واللام : .

وتعريف لفظ الحرث في الآية ١٣٦ بالألف واللام للعهد الذهني أي الحرث المعهود لديهم ، ويحتمل أن يكون التعريف للاستغراق العرفي أي كل حرث ، بينما ورد لفظ الحرث في الآية ١٣٨ نكرة للنوعية أى: نوع من الحرث محجور على مالكه الانتفاع به ، وإنما ينتفع به من يعينه المالك .

ومن المواقع الأخرى التي ورد فيها انتخاب لفظ الحرث لغرض العظة قوله - تعالى - : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤ .

في هذه الآية ختم . سبحانه . المشتهيات بما هو مثل الدنيا في البداية والنهاية والإعادة وهو الحرث ويعد النوع السادس من المشتهيات التي يحبها الناس و تحتل مكانة في نفوسهم .

الغرض من ذكر الحرث في هذا النظم : .

وقد قصد من ذكر الحرث والمشتهيات الأخرى تقرير الواقع الذي يعيشه الناس جميعا ، وعظة المسلمين ألا يغتروا بحال الذين كفروا فتعجبهم زينة الدنيا، وتلهيهم عن الاهتمام بما به الفوز في الآخرة ، وتسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه المشتهيات التي يقدر عليها الأغنياء، وتزهيد لأهل العقول النيرة بها ، وليس المراد ذم هذه المشتهيات والتنفير عنها، وإنما المراد التحذير من أن تجعل هي غاية الحياة ، فتشغلهم عن أعمال الآخرة التي جعلت الدنيا مزرعتها، والوسيلة لكسب السعادة فيها.

المعنى المقصود من لفظ الحرث في هذا النظم وسر التعبير به: .

والمراد **بالحرث** هنا : النبات نجمه وشجره على اختلاف أنواعه، وهو قوام حياة الإنسان والحيوان في البدو والحضر ، ومن ثم يكون التعبير عن النبات بالحرث مجازا مرسلا علاقته السببية .

وقد سبق أن أشرت إلى أن الله . عز وجل . سمَّى النبات حرثا لأن الحرث سبب نماء النبات وزيادته وجودته ، وليلفت أنظارنا إلى أهمية الحرث، فالحرث له دور كبير في تحسين بنية التربة .

ونكشف في هذا الموضع عن دور الحرث في تحسين التربة فنشير إلى أن فيه تسهيل نفاذ الماء بين ذرات التراب ، فالأرض القاسية يَسيلُ الماء على سطحها ، ويذهب هَدَراً ، أو يتبخر في الهواء ، أما التراب المحروث فإن أكثر المياه تنفذ بين ذراته بحيث تبقى مصونة من التبخر والضياع ، وفيه تسهيل نفاذ الهواء ، فالتراب المحروث يسهل دخول الهواء بين ذراته ، فتعيش البكتيريا التي تهيّيء غذاء النبات ، كما أن دخول الهواء فيه يحلل السماد العُضوي المَطمُور فيه والذي تتغذى منه النباتات .

وفيه تسهيل نفاذ جذور النبات في الأرض ، ففي الأرض المحروثة تمتد جذور النباتات وتتشعب وتغور إلى عمق وافر و مساحة أوسع ، فتمتص من هنا وهناك مقادير كبيرة من المياه والأملاح ، فيكثر نمُوّ الجذور ويشتد عود النباتات ، فتعمّر أكثر وتزداد المحاصيل كمًّا وجودة ، وفيه استئصال الحشائش ؛ لأنها عندما تنمو بين الأشجار فإنها تمتصّ ماءها وغذاءها وتزاحم جذورها ، وفيه طمر الأسمدة والبذور لتختلط بأجزاء التراب ؛ لهذه الفوائد وغيرها عبر . سبحانه . بالحرث عن النبات .

العلة من تأخير لفظ الحرث في هذا السياق : .

وقد أوضح صاحب المنار سبب تأخير ذكر الحرث في هذا النظم الحكيم بقوله : "وإنما جعل الحرث المراد به النبات آخر الأنواع في الذكر على أنه أولها في شدة الحاجة إليه لأنه لما كان الارتفاق به أعم كانت زينته في القلوب أقل، فهو قلما يكون مانعا للإنسان عن البحث عن الحق ونصره،

أو صادا عن الاستعداد للآخرة ، وإن من النعم ما هو أعظم من نعمة الحرث وأعم وأشمل ، وهو الهواء الذي لا يستغني عنه الأحياء لحظة واحدة سواء منها النبات والحيوان ؛ وهو لذلك لا فتنة من التمتع به، وقلما يفكر الإنسان بغبطته به أو حاجته إليه"[١] .

تخصيص الحرث بالذكر: .

وقد خص هذه المشتهيات بالذكر بما فيها الحرث ؛ لأنها أوضح من غيرها في الاحتياج إليها والتلذذ بها ؛ ولأن فيها إشارة إلى أنواع المتع كلها سواء أكانت متعة جسدية أم روحية، أم مالية، أم غير ذلك من مستلزمات الحياة .

(١) تفسير المنار ٢٠٢/٣ .

اللطيفة الثالثة

استعمال الحرث لغرض التأكيد على إتيان النساء فى مكان إنجاب الذرية .

جاء ذلك في قوله . تعالى . : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ البقرة:٢٢٣ .

الغرض من ذكر لفظ الحرث في هذه الآية: ـ

الجدوى من التعبير بلفظ (حرث) هو التأكيد على أن إتيان النساء يكون في المكان المخصص لإنجاب الذرية ، وهو القبل ، كما أن الحرث يكون في مكان الإنبات ، واستخدام الحرث في هذه الصورة له دلالته ، فالمناسبة مناسبة إخصاب وتوالد ونماء .

التوجيه البلاغي للأوجه الإعرابية لقوله :﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾

وفي قوله :﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾عدة احتمالات :ـ أستعرضها فيما يأتي :

الاحتمال الأول : أن يكون المبتدأ وهو قوله : ﴿ نِسَآؤُكُمْ ﴾ على حذف مضاف، تقديره : وطء نسائكم ، وقدر الحذف لأن كل جسد المرأة ليس موضعا للحراثة ، ويكون الخبر وهو قوله : ﴿ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾على حذف أداة التشبيه تقديره: كحرث لكم ، فيكون المعنى : وطء نسائكم كشق الأرض بآلة ليزرع فيها أو يغرس ،بتشبيه العضو الذكري بالمحراث ، والنطفة بالبذر، والفرج بالأرض ، والولد بالنبات .

الاحتمال الثاني : أن يكون المبتدأ على حذف مضاف تقديره : فروج نسائكم ، والخبر على حذف أداة تشبيه ، أي فروج نسائكم كالمحروث لكم من إطلاق المصدر وإرادة المفعول أي كالأرض المحروثة نفسها ، فتسمى الأرض المحروثة المهيأة للزراعة أو المزروعة حرثا ، ويكون التشبيه تشبيها للفرج بالأرض والنطفة بالبذر ، والولد بالنبات . والتشبيه هنا بليغ ، لبلوغه نهاية الحسن والقبول، ولقوّة المبالغة في التشبيه، حتى يظن المخاطب أن المشبه هو المشبه به ، وهذا ما قرره وأفصح عنه ابن الأثير بقوله : "ومن محاسن التشبيهات قوله ـ تعالى . : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾، وهذا يكاد ينقله تناسبه عن درجة المجاز إلى الحقيقة، والحرث: هو الأرض التي تحرث للزرع، وكذلك الرحم يزدرع فيه الولد ازدراعًا كما يزدرع البذر في الأرض"(١).

الاحتمال الثالث : أن يكون الخبر على حذف مضاف أي مواضع حرث لكم ، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: ﴿ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾أي : مواضع حرث لكم ، وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور .

وقد عقب الطيبي في حاشيته على كلام الزمخشري فقال : "فإن قلت: هذا يوهم أن التشبيه مجاز ، وأن قوله . تعالى . : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ استعارة ، وليس به ؛ لورود المشبه والمشبه به في الكلام ، فإن قوله : ﴿نِسَآؤُكُمْ ﴾ مشبه ، و: ﴿ حَرْثٌ ﴾مشبه به ، أي نساؤكم كمواضع حرث لكم،

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير ١٠٦/٢ .ت/: أحمد الحوفي، بدوي طبانة . ط/: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة .

والتشبيه حقيقة من الحقائق ، فما القول فيه ؟ قلت : أما على مذهب ابن الأثير فظاهر ؛ لأن التشبيه عنده مجاز ، وذلك أن إلحاق الناقص بالكامل لأجل المبالغة في قولك : زيد أسد بدل : شجاع ، تعدى اللفظ من مكانه الأصلي ، أما عند المحققين فهو تشبيه بليغ كما مر ، فإذن المراد بقوله : "هذا مجاز" أي : وضع (حرث) موضع "مواضع حرث لكم" مجاز .. وقوله " شبهن بالمحارث" جملة مستأنفة بيان للتركيب وصحة تشبيه النساء بمواضع الحرث .. يعني : شبهت النساء بالأراضي مثل ما شبهت النطف بالبذور "[١].

دلالة لفظ الحرث في هذا النظم وسر التعبير به : .

وعند إمعاننا النظر في قوله :﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ ﴾ نجد أن المقصود بلفظ الحرث هنا هو المحروث ، بقرينة كونه مفعولا للفعل ﴿ فَأْتُوا۟ ﴾ ، والمراد به الفرج ، وبناء عليه يكون في التعبير بالحرث استعارة تصريحية ، فقد شبه الفرج بالأرض . التي تشق ليزرع فيها أو يغرس . بجامع الإنبات والنماء ، واستعار لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

وهذا ما قرره صاحب الكشاف بقوله :" ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة ، والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث"[٢] ، وهذا قلب لاعتقاد اليهود حيث

---

(١) حاشية الطيبي على الكشاف المسماة بـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب صـ ٣٦٩ ، ٣٧٠ .ط/ جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم . الطبعة الأولى : ١٤٣٤ هـ . ٢٠١٣م .

(٢) الكشاف ٢٩٤/١ .

كانوا يقولون : **إِذَا أَتَى الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا، كَانَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ** فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ}(١) .

سر التعبير بإتيان الحرث دون غيره: -

وانظر إلى التعبير بالإتيان في قوله : ﴿**فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ**﴾ إنه كناية عن الوطء ، ولاحظ أن الله . تعالى . لم يقل (فأتوه) ، وإنما قال : ﴿**فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ**﴾فوضع المظهر موضع المضمر زيادة في التأكيد على أن إتيان النساء يكون في مكان إنجاب الذرية وهو القبل وليس الدبر ، كما أن الحرث يكون في مكان الإنبات ، كما أنه أعاد ذكر الحرث ولم يقل (فأتوهن) لذلك الغرض .

وأرى أن التعبير بالإتيان أبلغ من أن يقال : (فاحرثوهن) ، أو (فجامعوهن) لما يفيد الإتيان من أنه جاء بعد اعتزال في المحيض ، ونهي عن الاقتراب منهن حتى يطهرن ، كما قال . تعالى . : ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾**﴾ البقرة:٢٢٢

وقوع لفظ الحرث نكرة : -

وقد رأى أبو حيان أن كلمة (حرث) وردت أولا نكرة ؛ لأنه الأصل في الخبر ؛ ولأنه كان المجهول ... ووردت ثانيا معرفة ؛ لأن في الإضافة حوالة على شيء سبق ، واختصاصا بما أضيف إليه ، فإذا تقدمت

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج ، باب جواز جماعه امرأته في قبلها، من قدامها، ومن ورائها من غير تعرض للدبر حديث رقم (١٤٣٥) ١٠٥٨/٢ . ت/: محمد فؤاد عبد الباقي . ط/: دار إحياء التراث العربي - بيروت

نكرة ، وأعدت اللفظ ، فلا بد أن يكون معرفة: إما بالألف واللام، كقوله: ﴿ .. كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ .. ﴾ المزمل: ١٥ - ١٦ ، وإما بالإضافة كهذا..[١] .

ومما سبق ذكره في هذا الموضع نستطيع أن نستخلص أو نخلص إلى أن لفظة الحرث في هذا النظم أفادت التأكيد على أن إتيان النساء إنما يكون في المكان المخصص لإنجاب الذرية ، وهو القبل ، كما أن الحرث يكون في مكان الإنبات .

. أيضا . أفادت لفظة الحرث محاولة كثرة النسل ، كما أن الإنسان عندما يحرث أرضاً يكثر من الزرع ولا يقلل منه ، ويؤيد هذا قول النبي ﷺ . : (تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّى مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ)[٢]، كذلك أفادت لفظة الحرث المحافظة على الزوجة كما يحافظ الإنسان على أرضه .

---

(١) ينظر :البحر المحيط ٤٢٨/٢ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح . باب النهى عن تزويج من لم يلد من النساء حديث رقم ٢٠٥٢ ، ١٧٥/٢ ، ط/ دار الكتاب العربي . بيروت .

اللطيفة الرابعة

استخدام الحرث لغرض بيان ضياع ما ينفقه الكافرون في وجوه الخير ، وعدم نفعه لهم في الآخرة .

مثال ذلك قوله . تعالى . : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ آل عمران: ١١٧ .

الغرض من ذكر الحرث في هذا النظم : .

هذه الآية قائمة على صورة تشبيهية مركبة ، يمثل لفظ الحرث فيها أحد أجزائها ، والغرض منه هو بطلان وقطع أمل الكافرين في أن ما ينفقون من الأموال في وجوه الخير ينفعهم في الآخرة ؛ ذلك لأنهم لم يؤمنوا ، فالإيمان شرط في قبول الأعمال .

وكلام علمائنا حول الصورة التشبيهية في هذا النظم والذي يمثل لفظ الحرث فيها أحد أجزائها دقيق وثري ومفعم بالبلاغة .

فهذا الإمام الزمخشري تنبه إلى الصورة التشبيهية في هذا النظم واستعرضها قائلا : "شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فصار حطاما. وقيل: هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم ، وقيل: ما أنفقوا في عداوة رسول الله . ﷺ . فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله .. ، فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في عدم جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح : قلت هو من التشبيه المركب ، ويجوز أن يراد

مثل إهلاك ما ينفقون مثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث"[١] .

وقد علق ابن المنير السكندري على كلام الزمخشري بأن : "أصل الكلام واللّه أعلم: مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته ، ولكن خولف هذا النظم في المثل المذكور لفائدة جليلة وهو تقديم ما هو أهم ؛ لأن الريح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث ، فقدمت عناية بذكرها واعتمادا على أن الأفهام الصحيحة تستخرج المطابقة برد الكلام إلى أصله على أيسر وجه"[٢] .

وقد استشعر ابن عاشور أنه "لما كان التشبيه تمثيليا لم يتوخ فيه موالاة ما شبه به إنفاقهم لأداة التمثيل، فقيل: كمثل ريح ، ولم يقل: كمثل حرث قوم"[٣].

ماهية الحرث في هذه الآية وبلاغة التعبير به: .

والمراد بالحرث في هذه الآية المحروث لأجله ، وهو النبات ، وإنما سمى النبات حرثا مع أن الحرث هو مجرد إعداد الأرض للزراعة بشق الأرض وتقليب التربة لأن الحرث سبب نماء النبات وزيادته وجودته ،

---

(١) الكشاف ٤٣٣/١ ، ٤٣٤ .

(٢) حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير السكندري٤٠٦/١ . ضمن تفسير الكشاف .

(٣) التحرير والتنوير ٦١/٤ .

وليُلفت أنظارنا إلى أهمية الحرث ، فالحرث له دور كبير في تحسين بنية التربة ، وليلفت أنظارنا أنه لا نبت جيد بدون حرث .

وفي التعبير بلفظ الحرث . أيضا . إيحاء بأن إهلاك النبات وقع بعد تعب وعناء بفلح الأرض وإلقاء البذر فيها ، وهذا ما يدعو إلى التحسر الشديد .

وألمح في هذه الصورة الترابط الشديد بين المال والحرث المراد منه النبات ، فالنبات ينمو ويثمر، وكذلك المال يتكاثر ، و كما أن النبات يمكن أن تصيبه آفة زراعية ، كذلك المال يمكن أن يتلف وأن يخسر صاحبه ، وكما أن النبات يتطلب جهدا حتى يثمر، كذلك المال يتطلب جهدا حتى يُحصل ويكثر ، وهذا يعني أن هناك علاقة وثيقة بين النبات و المال ، الأمر الذي تطلب انتخاب لفظ الحرث المراد به النبات في هذا التشبيه .

اللطيفة الخامسة

استخدام الحرث لغرض استثارة الذات .

تحقق ذلك في قوله . تعالى . : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) ﴾

القلم: ١٧ -٢٩ .

سياق الحرث : -

ورد لفظ الحرث في هذا النظم الحكيم في معرض التذكرة والعظة ، "والعظة والتذكرة اللتان تنطويان في هذه القصة هما أن الله قد امتحن المكذبين بالرسالة النبوية، كما امتحن أصحاب البستان بالنعمة التي أنعمها عليهم بثمرهم، وكما أن هؤلاء قد تعرضوا لعذاب الله وبلائه لعدم استماعهم لنصيحة عاقلهم ومرشدهم وعدم شكر نعمة الله ، ولسوء النية التي بيتوها بحرمان الفقراء فإن أولئك . أي كفار قريش المكذبين . أمام امتحان رباني، فإذا لم يستمعوا لنصيحة ناصحهم ومرشدهم ولم يستجيبوا إليها ولم يشكروا نعمة الله التي أنعمها عليهم فإنهم سيتعرضون لبلاء الله وعذابه في الدنيا فضلا عما سيتعرضون لعذابه الأكبر في الآخرة ، ولهم الأسوة بأصحاب

البستان الذين أدركوا مدى ظلمهم وانحرافهم وسوء نيتهم فاستجابوا لمرشدهم وتابوا إلى الله واستغفروه"[١].

المراد بالحرث في هذا النظم وإيثار التعبير به: .

وقد علمنا فيما سبق أن الحرث: شق الأرض بآلة حديدية ليبذر فيها الحب أو يغرس فيها الشجر ، والمراد به هنا الجنة المثمرة ، ولذلك قال: ﴿صَرِمِينَ﴾؛ لأنهم أرادوا قطع الثمار من هذه الأشجار ، وأطلق الحرث على الجنة ؛ لأنهم يتعاهدونها بالحرث لإصلاح شجرها ، أي أنكم الذين أجهدتم أنفسكم بشق الأرض وإعدادها للزراعة وناضلتم منذ البداية حتى أثمرت ، فأنتم وحدكم إذن الذين يجب أن يكون لكم النتاج لا يشارككم فيه أحد من الناس ، إذا تلحظ أن في إيثار التعبير بلفظ الحرث مقصد بياني وهو استثارة ذواتهم ، أي انفعالهم وهيجان شعورهم ، ولا شك في أن هذه الحالة جديرة بأن تحملهم وتحفزهم بل وتحرضهم على المسارعة في قطف ثمار الجنة ، وحرمان الفقراء من نصيبهم وحقهم الذي فرضه الله لهم ، وبهذا أرى . على ما أعتقد . أنني قدمت تفسيرا صوابا لإيثار التعبير بلفظ الحرث على غيره .

الحرث بين الانتهاء إليه والاستيلاء عليه : .

ومما هو معلوم أن الغدو : هو السير أول النهار[٢] ، والفعل منه يتعدى بـ (إلى) وإنما عدي بحرف الاستعلاء (على) بدلا من حرف الانتهاء (إلى) لتشبيه غدوهم إلى الجنة لقطع ثمارها بإغارة لصوص على شيء للاستيلاء عليه أو على ما فيه ، وقد حذف المشبه به واستعير حرف

(١) التفسير الحديث : دروزة محمد عزت ٣٧٨/١ . ط/ دار إحياء الكتب العربية – القاهرة . الطبعة: ١٣٨٣ هـ .

(٢) لسان العرب ١١٨/١٥ .

(على) للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية التبعية ، ويجوز أن تعتبر الاستعارة تمثيلية ، فـ (على) هنا ترمز إلى معنى لطيف، فهي بدلالتها على معنى الاستيلاء على الحرث والإغارة عليه تفصح عن نية العدوان والاغتصاب لحقوق المساكين التي بيتوها في أنفسهم، وتصور أصحاب الجنة كأنهم قطاع طريق يستلبون حقوق الناس، ويسرعون لتنفيذ ما بيتوه حتى لا يراهم أحد كاللصوص الذين يستترون بالليل ليتمكنوا من سرقة ما يريدون سرقته(١).

هذا وقد ذهب بعض العلماء(٢) إلى أن الغدو يتعدى بـ (إلى ، وعلى)، فلا حاجة إلى حمله على الاستعارة ، كما لا حاجة إلى تضمينه معنى الإقبال.

وأرى أن الأصوب والأبر بالأسلوب هو ما ذهب إليه الدكتور/الخضري ؛ لأن حمله على الجواز ، أو التضمين من شأنه أن يطفيء وهج الاستعارة والأسرار البلاغية الكامنة وراءها .

---

(١) من أسرار حروف الجر. د/ محمد الأمين الخضري . ص ٩٨ وما بعدها. طبعة مكتبة وهبة . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م .

(٢) ينظر البحر المحيط ٢٤٢/١٠ ، وروح المعاني للألوسي ٣٥/١٥ .ت/ علي عبد الباري عطية . ط/ دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، فتح القدير للشوكاني ٢٧٢/٥ . ط/ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .

اللطيفة السادسة

استخدام الحرث لغرض التأكيد على اشتراط العمل .

جاء ذلك في قوله . تعالى . : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الشورى: ٢٠ .

الحرث في معرض الاستعارة : .

الدلالة الأصلية للفظ الحرث . كما هو معلوم . هي : شق الأرض للزراعة ، فإذا حملنا لفظ الحرث في هذا النظم على الدلالة الأصلية يكون فيه استعارة تمثيلية مبنية على: تشبيه هيئة عمل العامل الطالب لثواب الآخرة بهيئة شق الحارث الأرض وإلقاء البذر فيها ، ليجني منه الثمر والحب.

وهذا ما ذهب إليه الشريف الرضي بقوله : "وهذه استعارة ، والمراد بحرث الآخرة والدنيا كدح الكادح لثواب الآجلة وحطام العاجلة ، فهذا من التشبيه العجيب ، والتمثيل المصيب ؛ لأن الحارث المزدرع إنما يتوقع عاقبة حرثه ، فيجنى ثمرة غراسه ، ويفوز بعوائد ازدراعه"[١] .

وهذا ما أيده الزمخشري بقوله : "سمى ما يعمله العامل مما يبغى به الفائدة والزكاء حرثاً على المجاز"[٢] .

---

(١) تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى ص٢٧٥ . ت/د: على محمود مقلد . ط/ دار مكتبة الحياة . بيروت لبنان .

(٢) الكشاف ٢٢٢/٤ .

وهذا . أيضا . ما ارتضاه الطاهر بن عاشور بقوله : "والحرث: أصله مصدر حرث، إذ شق الأرض ليزرع فيها حبا أو ليغرس فيها شجرا، وأطلق على الأرض التي فيها زرع أو شجر وهو إطلاق كثير كما في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴾ القلم: ٢٢ ، أي جنتكم لقوله قبله كما بلونا أصحاب الجنة ..والحرث في هذه الآية تمثيل للإقبال على كسب ما يعده الكاسب نفعا له يرجو منه فائدة وافرة بإقبال الفلاح على شق الأرض وزرعها ليحصل له سنابل كثيرة وثمار من شجر الحرث، ..وإضافة حرث إلى الآخرة وإلى الدنيا على لام الاختصاص "[١]، وانطلاقا من هذا الفهم يكون قوله : ﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ معناه الزيادة في العمل، أي : نيسر له ذلك فيزداد من الصالحات.

أما إذا حملنا لفظ الحرث على الدلالة المجازية وهي أن المراد من الحرث المحروث لأجله وهو الثمر والحب ، يكون فيه استعارة تصريحية مبنية على تشبيه ثواب الآخرة بالمحروث لأجله وهو الثمر والحب ، والجامع أن كلا فائدة تحصل بشيء ، فالثواب بالعمل ، والثمر بشق الأرض والغرس وإلقاء البذر فيها ، ثم حذف المشبه ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء[٢]، وعليه يكون قوله :﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ معناه : نضاعف له في ثواب العمل .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/٧٤ .

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٥/٧٩ ، ٨٠ . ت/ محمد عبد الرحمن المرعشلي . ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ ، والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه . محمود صافي ٢٥/٣٤ . ط/دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت . الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ .

سر التعبير بإرادة الحرث : .

وفي التعبير بإرادة الحرث في هذا النظم الحكيم إشارة إلى اشتراط العمل لما يريده من الدنيا والآخرة كما قال . تعالى . : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ النجم: ٣٩ ، فلا ثواب بلا عمل كما أنه لا ثمر بلا حرث ، وتقديم مريد حرث الآخرة في الذكر على مريد حرث الدنيا، يدل على التفضيل .

كما أن التعبير فيما يخص مريد حرث الآخرة بقوله : ﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ يشير إلى أن مريد حرث الآخرة يزاد في مطلوبه ، أي يكون حاله أبدا في الترقي والتزايد، والتعبير فيما يخص مريد الدنيا بقوله :﴿ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ يشير إلى أن مريد حرث الدنيا يعطى بعض مطلوبه من الدنيا ، وهذا ما توحي به (من) التبعيضية ، وهذا يدل على أن طالب الدنيا يكون حاله في الانحطاط ، والنقصان .

وتتجلى في هذا النظم حقيقة واضحة هي أن "منافع الآخرة والدنيا ليست حاضرة ، بل لا بد في البابين من الحرث ، والحرث لا يتأتى إلا بتحمل المشاق في البذر ، ثم التسقية ، والتنمية ، والحصد ، ثم التنقية، فلما سمى الله كلا القسمين حرثا علمنا أن كل واحد منهما لا يحصل إلا بتحمل المتاعب والمشاق ، ثم بين ـ تعالى . أن مصير الآخرة إلى الزيادة ، والكمال، وأن مصير الدنيا إلى النقصان ، ثم الفناء ، فكأنه قيل : إذا كان لا بد في القسمين جميعا من تحمل متاعب الحراثة والتسقية ، والتنمية ،

والحصد ، والتنقية، فلأن تصرف هذه المتاعب إلى ما يكون في التزايد والبقاء أولى من صرفها إلى ما يكون في النقصان والانقضاء والفناء"[١] .

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٥٩٢/٢٧ . ط/ دار إحياء التراث العربي. بيروت . الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

اللطيفة السابعة

استدعاء الحرث لإظهار المكرمة والترفيه.

وآية ذلك قوله . تعالى . : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ البقرة: ٧١ .

الغرض من ذكر لفظ الحرث هنا : .

استخدمت كلمة الحرث في هذا النظم الحكيم في جملة فعلية منفية وقعت وصفا ضمن عدة أوصاف للبقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها ، وهذا الوصف هو أن هذه البقرة لم تستخدم في إدارة السواقي لإرواء الأرض ، والمقصود: أنها مكرمة مرفهة ليست مسخرة ولا مروضة لحراثة الأرض وإهاجتها ، ولا لسقاية الحرث ، وهذا الوصف وما سبقه وما تلاه من الأوصاف فيه ما لا يخفى من التشديد على بني إسرائيل ، فإنهم لو امتثلوا أول ما أمروا ، فذبحوا أي بقرة لكفاهم ، ولكنهم شددوا على أنفسهم وتعنتوا فشدد الله عليهم .

مجازية لفظ الحرث في هذه الآية وسر التعبير به: .

والمراد بالحرث في هذا التركيب هو المحروث ، وهي الأرض التي شقت بآلة ليزرع فيها أو يغرس ، وعبر بسقي الحرث دون النبات ؛ لأن سقي الحرث أصعب مراحل الإرواء لما فيه من المشقة والعناء ؛ إذ تكون الأرض في غاية الجفاف ، فتحتاج إلى وفرة من الماء ، وغالبا ما يحتاج هذا

إلى العديد من الأبقار لإتمام السقي ؛ لأجل هذا نفى كونها معدة لسقاية الحرث .

ـ أيضا . عبر بسقي الحرث دون النبات ؛ لأنه تقدم ما يفيد معنى الحرث وهي إثارة الأرض التي تحققت بالحرث ، فالحرث يهيج التربة الجامدة، ويفكك يبوستها ، ويجعلها ليّنة متفتتة .

وقد يكون المراد بالحرث المحروث لأجله ، وهو النبات ، وبناء عليه يكون التعبير عن النبات بالحرث مجازا مرسلا علاقته السببية ؛ لأن النبات ناشيء عن الحرث ، وقد سمَّى الله ـ عز وجل ـ النبات حرثا ـ مع أن الحرث هو مجرد إعداد الأرض للزراعة بشق الأرض وتقليب التربة ـ لأن الحرث سبب نماء النبات وزيادته وجودته ، وليُلفت أنظارنا إلى عملية الحرث لما فيها من الفوائد الجمة ، فالحرث له دور كبير في تحسين بنية التربة ، وقد أوضحت ذلك في موضع سابق .

ولا مانع من الجمع بين المعنيين المرادين من لفظ الحرث في هذا النظم ، وهما (الأرض . والنبات) ، فليس بينهما تضاد ، وإنما هما معنيان يترتب أحدهما على الآخر ، بمعنى أن المرحلة الأولى هي إعداد الأرض للزراعة بالري ، ثم المرحلة الثانية وهي سقي النبات الذي زرع .

مجيء لفظ الحرث معرفة : .

وتعريف لفظي الأرض والحرث بالألف واللام للعهد الذهني : أي لا تثير أرضهم ، ولا تسقي حرثها ، وألحظ حذف الفاعل في جملة : تثير الأرض ، وجملة: ولا تسقي الحرث ، إذ التقدير تثير هي ، أي : البقرة ، ولا تسقي هي ، والمسوغ لحذف الفاعل دلالة ما قبله عليه ، والغرض من الحذف الإيجاز والاختصار ، والتعبير بالمضارع منظور فيه الحال ، وهذا

ما أشار إليه الطاهر ابن عاشور بقوله : "واختير الفعل المضارع في (تثير) و (تسقي) ؛ لأنه الأنسب بذلول إذ الوصف شبيه بالمضارع ؛ ولأن المضارع دال على الحال"[١].

زعم ورد: .

وقد زعم بعض العلماء أن جملة : ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ مستأنفة ، فيكون المعنى : أنها ﴿بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ : أي ليست مذللة للعمل ، ثم استأنف فقال : ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ أي يُعمل عليها بالحراثة ، لكنها لا تسقي الزرع ، والقول بالاستئناف ضعيف وبعيد عن الصحة لسببين : .

الأول : أنه عَطَفَ على (تثير الأرض) جملة (لا تسقي الحرث) فنفى المعطوف ، فيترتب على نفيه أن يكون المعطوف عليه منفيا كذلك ؛ لأنه في المعنى واحد .

الآخر: أن هذه البقرة لو كانت تثير الأرض لكانت الإثارة قد ذللتها ، والله . تعالى . نفى عنها ذلك بقوله : ﴿لَّا ذَلُولٌ ﴾.

كما زعم الحسن أن وصف الله ـ تعالى . للبقرة بأنها لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث ينبيء عن كونها بقرة وحشية[٢] ، وهنا أقول : يرد هذا ما جاء بعد ذلك من وصفها بكونها مسلمة لا شية فيها : أي خالية من العيوب،

---

(١) التحرير والتنوير ١/٥٥٥ .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١/١٣٨ . ت/: أسعد محمد الطيب . ط/: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية . الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ

ومن ثم فإن ما قرره الحسن في هذا الشأن لا ينبغي المصير إليه ، والتعويل عليه ؛ إذ لا دليل يدل على هذا التحديد .

اللطيفة الثامنة

استخدام الحرث لغرض بيان مراعاة المصالح عند الاجتهاد.

محل ذلك قوله . تعالى . : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٨ .

الفائدة من ذكر قصة داود وسليمان في شأن الحرث وما حدث له من تلف ، هو التنبيه على فقه القضاء ، ومراعاة المصالح عند الاجتهاد ، فقد روى: أن رجلين دخلا على داود . عليه السلام . أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث أن هذا انفلتت غنمه فوقعت في حرثي ، فأفسدته ، فلم تبق منه شيئا ، فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث ، فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه ، فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا ، فأخبر بذلك داود ، فدعاه ، فقال: كيف تقضي، قال: أدفع الغنم إلى صاحب الزرع ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه ، فإذا صار الحرث كهيئته دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه ، فقال داود: القضاء ما قضيت) .

تعريف الحرث بالألف واللام في هذا النظم وسر التعبير به:

والألف واللام في لفظ الحرث للعهد العلمي ، والمراد به في هذه الآية النبات ، فعبر بالوسيلة وأراد الغاية ، وقد سمَّى النبات حرثا . مع أن الحرث هو مجرد إعداد الأرض للزراعة بشق الأرض وتقليب التربة . ؛ لأن الحرث

سببُ نماء النبات وزيادته وجَوْدته ، وليُلفت أنظارنا إلى أهمية الحرث في تحسين بنية التربة التي تسهم في نماء النبات .

ويظهر لي وجه آخر أنسب بسياق القول ، وهو أن في التعبير بالحرث إظهار مدى فظاعة تلف النبات حتى يخيل أن الغنم منتشرة في أرض محروثة وليست في أرض بها نبات ، وقد شاهدت الأغنام وهي ترعى بعض المحاصيل الزراعية ، فرأيت من كثرة رعي الأغنام لها ، ومن كثرة فلح الأرض بحوافرها ، واقتلاع النباتات من جذورها ، وتناثر ما التصق بها من مكونات التربة كأنها أرض محروثة ، هذا ما استشعرته من التعبير بلفظ الحرث في هذا الموضع ، والله أعلم بمراده .

ومن دقة النص القرآني وبلاغته أنه عبر بلفظ (نفشت) أي انتشرت الغنم في الحرث بلا راع فأكلت كل الزرع ، أو أتلفته كله ، ولو قيل : (رعت) مكان (نفشت) لضعفت الدعوى ، فالرعي قد يكون محدود الضرر، بخلاف ما يوحي به (النفش) من سعة الضرر ، وهذه الدقة في التعبير تدعم الوجه الذي ذهبت إليه وتقويه ، وتقديم الجار والمجرور (فيه) على الفاعل (غنم القوم) قد يكون للتخصيص ، أي نفشت في حرث صاحب الدعوى لا غير .

وفي نهاية هذا المبحث ، وبعدما وقفنا على الآيات التي ورد فيها لفظ الحرث يتجلى لنا كثرة التعبير بلفظ الحرث في النظم الحكيم، واستخدام الدلالتين الحقيقية والمجازية له ، وكثرة استخدام دلالة الحرث على النبات مجازا ، وتنوع صيغ لفظ الحرث بين الإسمية والفعلية ، والتعريف والتنكير ، وتنوع الأغراض البلاغية لذكر الحرث

فتارة يستدعى لغرض التذكير بعجيب صنع الله ـ عز وجل ـ ، والتدليل على قدرته ، وإظهار إحسانه، وتارة ينتخب لغرض التوبيخ ، والعظة، وتارة يأتي لغرض التأكيد على إتيان النساء في مكان إنجاب الذرية ، وتارة لإفادة استثارة الذات ، وأخرى لإظهار المكرمة ، إلى غير ذلك مما هو مثبت في صلب البحث ..

كما أفادتنا لفظة الحرث في مواقعها في القرآن الكريم أن أكبر جهد يجب أن نبذله في إصلاح التربة أولا قبل أن نضع فيها البذرة ، فإذا أصلحنا التربة ، وتحسنت حالتها ، وارتفعت مواصفاتها كان ذلك ضمانا لإنبات ناجح ، ونمو صحيح ، وإزهار وإثمار مربح ومغني لزارعيه .

وهكذا تمثلث عناية الله بالنبات في العديد من الآليات والوسائل التي تساعده على الانتشار على مساحة كبيرة من الأرض ، إضافة إلى جهد الإنسان في انتخاب البذور الجيدة بعد تهيئة الأرض بالحرث وإعدادها للزرع .

المبحث الثاني

الأغراض البلاغية لذكر لفظ الزرع .

وفيه سبعة لطائف .

اللطيفة الأولى : انتخاب لفظ الزرع لغرض التذكير بالنعم ، والتدليل على كمال القدرة الإلهية .

اللطيفة الثانية : استدعاء لفظ الزرع لغرض التدليل على البعث.

اللطيفة الثالثة : اختيار لفظ الزرع لغرض المدح .

اللطيفة الرابعة : استخدام لفظ الزرع لغرض الإنكار والتوبيخ .

اللطيفة الخامسة : استعمال لفظ الزرع لغرض بيان كثرة المنافع.

اللطيفة السادسة:استدعاء لفظ الزرع لغرض بيان الاحتياج إليه.

اللطيفة السابعة : استدعاء لفظ الزرع لغرض تنظيم الزراعة .

اللطيفة الأولى

انتخاب لفظ الزرع لغرض التذكير بالنعم ، والتدليل على كمال القدرة الإلهية .

بعد أن تناولنا في المبحث الأول الأغراض البلاغية لكلمة الحرث في النظم القرآني ، وبينا دلالتها الحقيقية والمجازية ، إلى غير ذلك مما هو مدون تحت كل لطيفة ، نشرع في بيان الأغراض البلاغية لكلمة الزرع في البيان القرآني المعجز ، وأول ما يطالعنا من أغراض لفظ الزرع هو التذكير بالنعم ، والتدليل على كمال القدرة الإلهية ، وآية ذلك قوله . تعالى . : ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الأنعام: ١٤١ .

مجازية لفظ الزرع في هذا النظم وسر التعبير به : -

ومما تجدر الإشارة إليه أن المراد من لفظ الزرع هنا ليس المعنى الحقيقي ، وهو طرح الحب في الأرض ، وإنما المراد المعنى المجازي ، وهو النبات ، وهذا كثير في النظم القرآني ، ومن ثم يكون التعبير عن النبات بالزرع مجازا مرسلا علاقته السببية ، فالزرع سبب لوجود النبات، وفي هذا التعبير إلفات إلى أنه لا نبت جيد بدون زرع ، ففي حرفة الزرع المباشر مع انتخاب البذور الجيدة وتوفير بيئة ملائمة للإنبات ضمانا لنمو جيد يسهم في توفير كثير من المحاصيل اللازمة لإمداد البشر باحتياجاتهم الغذائية ، ومما يعزز كون المراد من لفظ الزرع المعنى المجازي . قوله . تعالى . : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ

حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ الأنعام: ٩٩ .

كما أن الزرع هنا على إطلاقه ، شامل لما هو أساس القوت وغيره كالقمح والشعير وغيرهما ، وقد فسر ابن عباس الزرع هاهنا بجميع الحبوب التي يقتات بها فقط .

والغرض من ذكر الزرع وكذا الجنات والنخل والزيتون والرمان هو :-

أولا : إقامة الأدلة على ألوهيته ووحدانيته ، ومن ذلك قول القائل في وصف النرجس واتخاذه دليلًا على التوحيد : .

تأمّل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... كأن حداقها ذهب سبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأنّ الله ليس له شريك[1] .

ثانيا : التذكير بعجيب خلق الله ، والامتنان وإظهار الإحسان بما خلق لنا .

ثالثا : إنكار وإبطال فعل المشركين ؛ حيث شرعوا في الحب والثمار أحكاما لم يأذن بها الله ، فجعلوا نوعا من الحبوب والثمار محجورا على مالكه الانتفاع به ، وإنما ينتفع به من يعينه المالك ، ولذلك فرع على ذكر

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني ٢/٥٩٥ . الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ .

الزرع وكذا الجنات والنخيل والزيتون والرمان قوله:﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ ، والكلام موجه إلى المؤمنين والمشركين ؛ لأنه اعتبار وامتنان، وللمؤمنين الحظ العظيم من ذلك، ولذلك أعقب بالأمر بأداء حق الله في ذلك بقوله: ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ إذ لا يصلح ذلك الخطاب للمشركين.

الزرع بين التقديم والتأخير : .

وقد رأى جمال الدين أبو الفرج الجوزي أن الله . عز وجل . قدم ذكر الأكل من ثمار هذه الزروع على التصدق تعجيلا بالنهي عن فعل الجاهلية في هذه الثمار من تحريم بعضها ، بينما رأى الرازي وجها آخر وهو أن رعاية النفس مقدمة على رعاية الغير(١) ، ولا مانع من الجمع بين هذين الوجهين ، فالأغراض البلاغية لا تتزاحم .

ويلحظ أن هذه الآية جاءت متأخرة عن آية الأنعام :٩٩؛ لأن الآية الأولى أمر بالاستدلال بهذه الأنواع الخمسة على وجود الصانع الحكيم ، والثانية ،إذن في الانتفاع بها وأمر بصرف جزء منها إلى الفقراء ، "وذلك تنبيه على أن الأمر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم مقدم على الإذن في الانتفاع بها ؛ لأن الحاصل من الاستدلال بها سعادة روحانية أبدية ، والحاصل من الانتفاع بهذه سعادة جسمانية سريعة الانقضاء ، والأول أولى

(١) ينظر زاد المسير في علم التفسير ٨٤/٢ . ت/ عبد الرزاق المهدي . ط/ دار الكتاب العربي – بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ ، ومفاتيح الغيب ١٦٣/١٣ .

بالتقديم ؛ فلهذا السبب قدم الله . تعالى . الأمر بالاستدلال بها على الإذن بالانتفاع بها"[١] .

كما يلحظ أن ترتيب الثانية ورد على عكس ترتيب الأولى ، فقد ذكر في الأولى خمسة أنواع وهي: الزرع والنخل وجنات من أعناب والزيتون والرمان ، بينما بدأ في الثانية بذكر العنب ثم النخل ثم الزرع ثم الزيتون ثم الرمان ، والغرض من هذا أنه لما كان المقام في الآية الأولى استدلال بهذه الأنواع الخمسة على وجود الصانع الحكيم ناسب ذلك البدأ بذكر الزرع لصغر حبه ، فهو أدل على الوحدانية والقدرة التامة وأبلغ في الاعتبار وأسرع في الانتفاع من ما هو فوقه في الجرم .

بينما لما كان المقام في الآية الثانية إذن في الانتفاع بهذه الأنواع الخمسة ناسب ذلك البدأ بما هو أكثر شهرة عند العرب .

وقد رأى صاحب المنار أن "ترتيب المعطوفات في هذه الآية على طريقة الترقي من الأدنى في التغذية واقتيات الناس إلى الأعلى والأعم، فإن الحبوب هي التي عليها معول أكثر البشر في أقواتهم، على حين جاء ترتيب المعطوفات في قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ... ﴾ الأنعام: ٩٩ على طريق التدلي من الأعلى في الاقتيات إلى الأدنى فالأدنى، والفرق بينهما أن هذه جاءت في مقام سرد الآيات الكونية

(١) مفاتيح الغيب ١٦٢/١٣ .

على وحدانية الله وقدرته وحكمته ورحمته بعباده ، وقبلها آيات في آياته في العالم العلوي وفي خلق الإنسان وهو دونه، وعالم النبات أدنى منهما، فروعي التدلي في أنواعه كما روعي فيما بينه وبين ما قبله ، والمقام في الآية التي نفسرها وما بعدها مقام ذكر الأقوات لبيان شرع منشئها في إباحتها، في مقابلة ضلال المشركين فيما ذكر قبلها من التحليل والتحريم بأهواء الشرك وهو قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ..... ﴾ ، فقدم هنالك الحرث على الأنعام ؛ لأن ضلالهم فيه أقل من ضلالهم فيها ، وجرى هنا على هذا الترتيب فذكر الحرث أولا لما ذكر، وترقى إلى ذكر الأنعام لكثرة ضلالهم فيها وما يحتاج إليه من تفصيل القول الحق في ذلك ، وهو انتقال من المهم إلى الأهم في المعنى المراد، وتأخير لما اقتضت الحال إطالة القول فيه على الأصل ، فحسن الترقي في ذكر أنواع الأقوات النباتية تفصيلا كما حسن فيما بينها بجملتها وبين الأقوات الحيوانية"[١] .

وقد تعددت أقوال أهل العلم في الضمير في قوله :﴿ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ﴾، فقيل يحتمل عود الضمير على أقرب مذكور وهو الزرع مختصا به فقط ؛ لأن أنواعه مختلفة الشكل جدا كالقمح والشعير والذرة والعدس والأرز وغير ذلك، بخلاف النخل ، فإن الثمر لا يختلف شكله إلا بالصغر والكبر، وقيل يحتمل عود الضمير على الزرع ويكون قد حذفت حال النخل لدلالة هذه الحال عليها، والتقدير : والنخل مختلفا أكله والزرع مختلفا أكله ، وقد رأى الزمخشري أن عود الضمير على النخل ، والزرع داخل في حكمه ؛ لكونه معطوفاً عليه ، واعترض أبو حيان بأن هذا ليس بجيد ؛ معللا أن

(١) تفسير المنار ١١٧/٨ .

العطف بالواو لا يُجوز إفراد ضمير المتعاطفين ، وقيل يحتمل عود الضمير على الجميع على تقدير : أكل ذلك[١] .

عموم لفظ الزرع : .

ويدرك من يدقق في هذا النظم أن قوله : (والنخل ، والزيتون والرمان) داخل في عموم قوله : ﴿ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ ﴾ أي بعض تلك الجنات مجعول لها عرش، تنتشر عليه الأشجار، ويعاونها في النهوض عن الأرض، ﴿ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ ﴾ أي وبعضها خال من العروش، تنبت على ساق، أو تنفرش في الأرض ، وإنما خص النخل بالذكر لكثرته عند العرب وكثرة منافعه .

وفي هذا النظم لطيفة أخرى ، وهي أنه لما كان المقام هنا للتذكير بعجيب خلق الله ومننه على الناس ناسب ذلك التعبير بالأعم ، وهو قوله : ﴿ وَٱلزَّرۡعَ ﴾ الذي يشمل العام والخاص ، وخص الزيتون والرمان وإن لم يكونا مثل النخل في الأهمية عند العرب إلا أنهما لعزة وجودهما في بلاد العرب ، ولتنافس العرب في التفكه بثمرهما ، والإعجاب باقتنائهما خصا بالذكر في مقام التذكير بعجيب صنع الله . تعالى . ومننه .

وقوع المعطوفات معرفة : .

---

(١) ينظر الكشاف ٦٩/٢ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٨٥/٢ ، والبحر المحيط ٢٣٨/٤ ، وروح المعاني ٢٨١/٤ ، والإشارات العلمية في القرآن الكريم (علم النبات في القرآن الكريم) . صـ ١٥٠ .

وترى أن التعريف بالألف واللام في قوله : ﴿وَٱلنَّخۡلَ﴾تعريف العهد الجنسي، وإنما جيء بالتعريف فيه للإشارة إلى أنه الجنس المألوف المعهود للعرب ، والتعريف في قوله : ﴿وَٱلزَّرۡعَ﴾ ، ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ﴾ ، ﴿وَٱلرُّمَّانَ﴾ كالتعريف في قوله : ﴿وَٱلنَّخۡلَ﴾ .

المطلوب من ذكر الزرع والنخل الزيتون ..إلخ .

ثم ذكر – سبحانه– المقصود من خلق هذه الأشياء فقال: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ أى: كلوا من ثمر تلك الزروع والأشجار التي أنشأناها لكم، شاكرين الله على ذلك. والأمر للإباحة ، وفائدة التقييد بقوله : ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ إباحة الأكل قبل النضوج والإدراك ، يقول صاحب الكشاف : "إن قلت : ما فائدة قوله : ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ ، وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه ؟ قلت : لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل :﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ ؛ ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر ؛ لئلا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وأينع"[1] ، وفي آية أخرى : ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ ، فالعنب ينتفع بثمره حصرما فعنبا فزبيبا ، والنخل يؤكل ثمره بسرا فرطبا فتمرا، والقمح يؤكل حبه فريكا قبل يبسه، وأكله برا مطبوخا أو طحنه وجعله خبزا.

وقد لحظ الشيخ الخطيب أن "فى القيد الوارد على الأكل من الثمر بقوله . تعالى . : ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ تقييدا للأنظار بهذه الجنات وتلك الزروع،

(١) الكشاف ٢/٦٩ .

وملاحظة أطوار الحياة التي تتنقل فيها، وأنها لم تصل إلى هذا الطور الذي تحمل فيه الثمر الذي يصلح للأكل إلا بعد أن قطعت طريقا طويلا، فى نموّها وتطورها، شأنها شأن الإنسان يكون بذرة فى بطن أمه، ثم ينشق عنه الرحم وليدا، فطفلا، فغلاما، فصبيّا، فشابا، فكهلا، فشيخا.. ، وبهذه الملاحظة لتلك الجنات وهذه الزروع تتجلى قدرة الله، وتتكشف آيات إبداعه وخلقه، فيكون من ذلك كله عبرة لأولى الألباب، وتبصرة وذكرى لقوم يؤمنون"[(١)].

كما رأى الرازي أن مجيء قوله . تعالى . : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ متأخرا يقتضي وجوب الزكاة في كل ما سبق ذكره من الجنات المعروشات وغير المعروشات ، والنخل ، والزرع ، والزيتون ، والرمان ، كما رأى أن لفظ الحصاد الذي يعني في اللغة القطع يشمل كل ما سبق ذكره ، وليس مخصوصا بالزرع كما ذهب إليه بعض أهل العلم [(٢)] .

وهذا موضع آخر ورد فيه انتخاب لفظ الزرع لغرض التذكير بالنعم ، والتدليل على وجود الصانع الحكيم وكمال قدرته بعجائب أحوال النبات ، قال . تعالى . : ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ النحل: ١١ .

الغرض من ذكر لفظ الزرع في هذه الآية : .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن للشيخ عبد الكريم الخطيب ٣٢٣/٤ ، ٣٢٤ .ط/ دار الفكر العربي – القاهرة .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ١٦٤/١٣

يعد ذكر الزرع في هذه الآية واحدا من جملة عظيمة من النعم الإلهية تدل

على وجود الله ، ووحدانيته ، وقدرته ، وفضله ، وكرمه ، وأنه لا مبدع ، ولا موجد لها غيره . سبحانه . .

مجازية الزرع هنا : .

والزرع مصدر ، والمراد به هنا المزروع ، أو ما يؤول المزروع إليه على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته السببية ، فإلقاء البذور في الأرض وامتصاصها للماء وانتفاخها سبب في تحقق إنبات البذور ، وإنما عبر بلفظ الزرع لما له من الأهمية ، وقد بينت ذلك فيما سبق .

وهنا أتساءل : هل الإنبات في هذا النظم متعلق بالبذور ، أو بذات الشجر ، أو بثمره ؟ .

أجيب : فأقول : **يحتمل** : تعلق الإنبات بالمزروع وهي البذور الذي تطرح في التراب أي ينبت الله . عز وجل . بالماء الحبوب التي تلقى في الأرض ، إذ هي الأساس في عملية الإنبات والعبرة فيه أظهر لما فيه من الإحياء بعد الإماتة الدال على البعث ، ومنه قوله . تعالى . : ﴿ ...كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ ... ﴾ البقرة: ٢٦١ ، قال القرطبي: "مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة فأنبتت الحبة سبع سنابل"(١) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠٣/٣ . ت/: هشام سمير البخاري . ط/: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية . الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .

ويحتمل : تعلق الإنبات بما يؤول المزروع إليه وهو ذات الشجر الناتج من البذور ، أو بالثمر الناتج من البذور ومن ذات الشجر ، ومن ثم يكون في تعلق الإنبات بالمزروع لأجله مجازا مرسلا علاقته اعتبار ما يكون؛ لكون النعمة فيه أظهر.

ولا أدري ماذا يقصد الرازي بالحبوب في قوله : "الغذاء النباتي قسمان: حبوب ، وفواكه، أما الحبوب فإليها الإشارة بلفظ الزرع"(١) ، أهي البذور التي تطرح في الأرض لبدء عملية الإنبات ، أم ثمر النبات .

أما الألوسي فقد كان كلامه واضحا حيث قال : "المراد من المتعاطفات المذكورات ثمراتها لا ما يحصل منها الثمرات لأن ذلك ليس غذاء الإنسان ، و ليس المقصود من ذكرها إلا الامتنان بثمراتها إلا أنها ذكرت على نمط سابقها المذكور في غذاء الماشية على المجاز المرسل ، ويرشد إلى أن الامتنان بثمراتها قوله سبحانه: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾"(٢) .

وبهذا يكون الألوسي قد أزال ما يوهمه ظاهر النظم من تعلق الإنبات بنفس الشجرة لا بثمرتها ، وجوز أن لا يكون الملحوظ من هذا التعبير الغذائية فقط ، بل الغذائية وغيرها على معنى ينبت به لنفعكم ، والنفع يكون بما فيه غذاء وغيره

ومن الجدير بالذكر ما روي من أن أبا بكر قرأ : (ننبت) بالنون للتعظيم والتفخيم ، ولذا سماها النحاة نون العظمة ، وقرأ الزهري : (ننبت)

---

(١) **مفاتيح الغيب** ١٨١/١٩ .

(٢) **روح المعاني** ٣٥٠/٧ .

بالتشديد : للتكثير والتكرير[١] ، "وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وأن الإنبات سنته سبحانه الجارية على مر الدهور أو لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة"[٢] ، وتقديم الظرفين على المفعول الصريح ليظمأ الذهن إليه فيتمكن أتم تمكن عند وروده عليه ، مع ما في تقديم أولهما من الاهتمام به لإدخال المسرة ابتداء .

تقديم الزرع على غيره من الثمرات : .

وتقديم الزرع على غيره : لأنه أصل الأغذية وعمود المعاش وقوت أكثر العالم وفيه مناسبة للكلأ المرعى ، وأتبعه بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه ، وهي ضرورية مع منفعة أكله والائتدام به وبدهنه ، والاطلاء بدهنه ، ثم ذكر النخل لكونه غذاء وفاكهة ، ثم بالأعناب لأنها فاكهة محضة ، وقدم النخيل على الأعناب لظهور دوام النخيل بالنسبة إلى الأعناب فإن الواحدة من النخيل كثيرا ما تتجاوز مائة سنة وشجرة العنب ليست كذلك ، كما أن شجرة الزيتونة أكثر دواما منهما فإن الشجرة منه قد تدوم ألف سنة ، ولذلك قدمت عليهما[٣] .

وألحظ في هذه الآية وما يشابهها أن الله . عز وجل . حينما عدد بعض النعم الزراعية ذكر منها الثمر دون الشجر ، مثل : (الزيتون والرمان والعنب)، وذكر منها الشجر دون ثمره فقط ، مثل (النخيل) ، فلم يقل

---

(١) ينظر الكشاف ٥٥٨/٢ ، ومفاتيح الغيب ١٨٠/١٩، والبحر المحيط ٥١٢/٦، وروح المعاني ٣٤٩/٧ .

(٢) روح المعاني ٣٤٩/٧ .

(٣) ينظر مفاتيح الغيب ١٨١/١٩ ، والبحر المحيط ٥١٢/٦، وروح المعاني ٣٤٩/٧، وفتح القدير ١٥٢/٣) .

مثلا : البلح ، أو التمر ، أو الرطب ؛ لما يعلمه الله . عز وجل . من أن كثيرا من الشجر المثمر إنما يستفيد الإنسان من ثمره ، وربما الأشياء الأخرى تصبح حطبا ، أو فحما ، أو يستفيد منها البهائم ، أما النخل فكله مفيد ونافع للإنسان ، يستفيد الإنسان من ثمره ، وجمّاره ، وجريده ، وخوصه ، وليفه ، يتخذ من خوصه المفارش والسلال ، ومن ليفه الحبال، ومن جريده سقف البيوت والأقفاص ، ويؤكل جمّاره ، وغير ذلك ، لا يوجد شيء في النخل غير مفيد ، حتى نوى التمر يستعمل علفا للبهائم ، وفيه من الأدوية ما حدث به بعض الخبراء ، فحينما يطحن ويطبخ يستعمل لتصفية الكلى وأشياء أخرى . وأما في قوله :﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ مريم: ٢٥ فهنا حكمة طيبة تتعلق باختيار ثمرة النخيل دون سواه من ناحية ، وتوقيته مع مخاض الولادة من ناحية أخرى : .

ففي الرطب كمية من هرمون الأوكسيتوسين ، وهذا الهرمون من خواصه أن يعمل على انقباض الأوعية الدموية بالرحم ، ومن ثم يساعد على منع حدوث النزيف الرحمي ، كما أن في الرطب مادة لينة ، ومن المعلوم أن الملينات النباتية تفيد في تسهيل عملية الولادة بتنظيفها للأمعاء الغليظة ، كما أن في الرطب فوائد جمة للأم ورضيعها في فترة النفاس ، فهو منبه لحركة الرحم وزيادة فترة انقباضاته بعد الولادة ، وهو مهم لتكوين لبن الرضاعة ، وتعويض الأم ما ينقصها بسب الولادة ، وذلك لاحتوائه على عنصري الحديد والكالسيوم المهمين لنمو الطفل الرضيع ، وتكوين الدم و العظام .

كما أثبتت الدراسات العلمية أن الرطب يأتي على رأس الفواكه التي تعمل كمهدئ للمزاج الإنساني ، ويهدئ النفس ، ويحتوي الرطب على ماده

المارتليم وفيتامين (A) الذي يعتبره الأطباء المهدئ الأعظم ، وهو موجود في الرطب بكثرة ، ويعمل على إرخاء العضلات.

وهذه الفوائد المهمة جدا لكل من الحامل ، والمرأة التي تلد ، وللنفساء، والمرضع ، تفسّر النص على الرطب في هذا السياق مع ذكر شجرته ، وتفسر لماذا جعل الله ـ تعالى ـ غذاء السيدة مريم العذراء الرطب فقط من الغذاء .

ذكر العام بعد تخصيص أحد أفراده من الزيتون والنخيل والأعناب بالذكر : .

بداية أود القول بأنني أميل إلى عموم لفظ الزرع هنا ، ولا أرى أنه خاص بنباتات معينة ؛ إذ دلالة السياق ليست من القوة لتخصص عموم لفظ الزرع ، وقد تلا هذا العموم تخصيص الزيتون والنخيل والأعناب بالذكر لكونها أشرف ما ينبت ، وأجمع للمنافع .

وبعد تخصيص هذه الأنواع الثلاثة بالذكر عمم بقوله : ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ "تنبيها على أن تفصيل القول في أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها لا يمكن ذكره في مجلدات ، فالأولى الاقتصار فيه على الكلام المجمل"(١).

من جهة أخرى أرى أن في عطف العام على الخاص تذكير بأن كل الثمرات هي من عطائه ، وأتى بلفظ مِن التي للتبعيض ، "لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة ، وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة"(٢) ،

(١) مفاتيح الغيب ١٨١/١٩ .
(٢) الكشاف ٥٥٨/٢ .

ومن خلال هذا الفهم يتضح أن في التركيب : تعميم يليه تخصيص يليه تعميم .

مجيء الزرع معرفا : .

والتعريف تعريف الجنس ، ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أجناس الزرع ، والزيتون ، والنخيل ، والأعناب ، والثمار ، وتعريف الجنس يفيد أمرين : أحدهما : الكثرة ، أي :أن ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة كثيرة ، والآخر : أنه مستغرق لجميع ما تحته منها .

تقديم غذاء الحيوان على غذاء الإنسان : .

وقد ذكر الرازي أن "النبات الذي ينبته الله من ماء السماء قسمان: أحدهما: معد لرعي الأنعام وإسامة الحيوانات، وهو المراد من قوله: ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ النحل: ١٠ ، أي في الشجر ترعون مواشيكم يقال: أسمت الماشية إذا خليتها ترعى ، والثاني: ما كان مخلوقا لأكل الإنسان وهو المراد من قوله: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ ﴾، فإن قيل: إنه ـ تعالى ـ بدأ في هذه الآية بذكر ما يكون مرعى للحيوانات، وأتبعه بذكر ما يكون غذاء للإنسان ، وفي آية أخرى عكس هذا الترتيب ، فبدأ بذكر مأكول الإنسان ، ثم بما يرعاه سائر الحيوانات فقال : ﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ ﴾ طه: ٥٤ ، فما الفائدة فيه؟ قلنا: أما الترتيب المذكور في هذه الآية فينبه على مكارم الأخلاق ، وهو أن يكون اهتمام الإنسان بمن يكون تحت يده أكمل من اهتمامه بحال نفسه ، وأما الترتيب المذكور في الآية

الأخرى ، فالمقصود منه ما هو المذكور في قوله ـ عليه السلام . : (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)"[١] .

وقيل قدم غذاء الحيوان على غذاء الإنسان : ؛ لأن غذاء الحيوان مما لا دخل للخلائق فيه ببذر وغرس فالامتنان به أقوى، وقيل: ؛ لأن أكثر المخاطبين من أصحاب المواشي وليس لهم زرع ولا شيء مما ذكر[٢] .

تتمة للزرع وسائر النعم المذكورة في هذا النظم : .

وقد ختمت هذه النعم الخاصة والعامة بقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ؛ لأن إنبات السنبلة أو الشجرة من الحبة بعد انشقاقها برطوبة مودعة في الأرض أمر خفيّ يحتاج إلى التفكر، والتدبر لمن له نظر سديد يستدل به على قدرته، وحكمته .

وإني أستأنس في الوقوف على كون ﴿ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ ﴾ آيات دالة على وجود الله . تعالى . وحكمته وقدرته بما تنبه إليه الإمام الرازي في قوله : "إن الحبة الواحدة تقع في الطين فإذا مضت على هذه الحالة مقادير معينة من الوقت نفذت في داخل تلك الحبة أجزاء من رطوبة الأرض ونداوتها فتنتفخ الحبة فينشق أعلاها وأسفلها ، فيخرج من أعلى تلك الحبة شجرة صاعدة من داخل الأرض إلى الهواء ، ومن أسفلها شجرة أخرى غائصة في قعر الأرض وهذه الغائصة هي المسماة بعروق الشجرة ، ثم إن تلك الشجرة لا تزال تزداد وتنمو وتقوى ، ثم يخرج منها الأوراق والأزهار والأكمام والثمار، ثم إن تلك الثمرة تشتمل على أجسام

---

(١) مفاتيح الغيب ١٨٠/١٩ .

(٢) ينظر روح المعاني ٣٥٠/٧ .

مختلفة الطبائع ... والطعم واللون والرائحة والصفة، فدل صريح العقل على أن ذلك ليس إلا لأجل فاعل قادر حكيم رحيم ، فهذا تقدير هذه الدلالة"[١].

كذلك جاء الزرع في معرض التذكير بالنعم الدالة على قدرة الله ـ تعالى . فيما ألهم الناس من العمل في الأرض بفلحها ، وزرعها ، وغرسها في قوله . تعالى . :﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾ الرعد: ٤

الزرع من جهة التنكير والتقديم في هذا الموضع

وأول ما وقعت عليه عيني ، واستحاذ على عقلي في هذا النظم مجيء المسند إليه في قوله : (قطع ، وجنات ، وزرع) نكرة ، ولعل الغرض منه التكثير والتنويع ، وعلى الرغم من أن الزرع عمود المعاش ، فقد قدم ذكر الجنات عليه ؛ تنبيها على دقة الصنعة، وإحكاما فيما يجود به الله على عباده من خيرات ، كالعنب ؛ إذ في خلقته ما يبهر العقول ، لكونه مياها متجمدة في أجسام رقيقة حلوة المذاق ، وراع تأخير (نخيل) ، فقد ذكرت بعد زرع لئلا يفصل بين الصفة والموصوف ، وحتى لا يطول الفصل بين المتعاطفين .

وهذا ما ذهب إليه أبو السعود وأفصح عنه بقوله :"﴿وَزَرۡعٞ ﴾من كل نوع من أنواع الحبوب وإفراده لمراعاة أصله ، ولعل تقديمَ ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومبايَنتِها لسائرها ورسوخ

(١) مفاتيح الغيب ١٨١/١٩ .

ذلك فيها ، وتأخيرُ قوله . تعالى .: ﴿وَنَخِيلٌ﴾ لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله . تعالى . : ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾فاصلة" [١] .

ويمكن . كما لاحظ السامرائي . أن يكون الترتيب لمناسبة ذكر التجاور ، فالزرع متجاور أكثر من أشجار الفاكهة ، فشجرة الكرم يكون بينها مسافة حتى تأتي بالثمر، أما الزرع فلا يحتاج إلى مثل هذا، الزرع متقارب جداً ،أما فسائل النخل فهي تخرج من أصل شجرة النخل ، ومن ثم فهي أقرب المذكورين للتجاور ، العنب أبعدها يحتاج إلى مسافات أطول، والزرع مسافة أقل والنخيل أقرب ، فهذا ترتيب من الأبعد إلى الأقرب في التجاور [٢] .

والأصوب . كما أرى . أن يقال : لما كان الزرع من الأجسام الضعيفة وسيقانه تتأثر بالرياح الشديدة والعواصف الرملية ، ويكون عرضة للتلف مثل: القمح ، والشعير ، والأرز ، وغير ذلك ، حسن أن يقع لفظ الزرع وسط الأشجار القوية والطويلة ، والتي يمكن أن تشكل له الحماية الطبيعية ، وكأن هذه إشارة قرآنية لما عليه الزراعات الحديثة ؛ حيث تزرع الأشجار القوية على حافة المساحات الزراعية ؛ لحماية ما بداخلها ، ويسمونها مضادات الرياح ، وهذا واضح في قوله . تعالى . : ﴿... وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الكهف: ٣٢ . تأمل . حففناهما . بينهما .

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ٥/٥ . ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢) ينظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل د/فاضل السامرائي . مفرغ بتصرف من حلقة تلفزيونية رقم ١٧٤ .

توحيد لفظ (الزرع) : .

وهذا ملحظ آخر ذكره الشهاب في حاشيته مفاده أن الله . تعالى . إنما وحد الزرع ولم يقل : زروعاً ؛ لأنه في الأصل مصدر ، والمصدر شامل للقليل والكثير [١].

التوجيه البلاغي لتعدد قراءة لفظ (الزرع) : .

وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وحفص ﴿وَزَرْعٌ﴾ بالرفع عطفاً على ﴿وَجَنَّتٌ﴾ ، وهذا واضح ، وقرء (وزرع) بالجر عطفا على : ﴿أَعْنَابٍ﴾ ، والزروع لا تعد حدائق ، وإنما المراد أنّ في الجنات فرجا مزروعة بين الأشجار، وهو أحسن منظراً وأنزه[٢].

وقد رأى الطاهر بن عاشور أن القراءتين بمعنى واحد ، وعلل لذلك بعلة غامضة[٣] ، وأرى أن الأوجه منه ما قيل من أن "صفة الجنات هو تغاير ما فيها من أنواع المزروعات ، فناسب الجر تنويع الجنات من أعناب، وزرع ، ونخيل ، ولما كانت الزروع بمعناها العام تتضمن ما لا يعد مما يدخل في تنويع الجنات ، ولما كان النخيل قد يكون مستقلا بلا اشتراك مع غيره من الزروع ، صح الرفع بذلك ؛ لتكون القطع المتجاورات منها ما

---

(١) ينظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢١٨/٥ .

(٢) ينظر المصدر السابق ٥ /٢١٩

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٨٧/١٣ .

هو جنات ، ومنها ما هو زروع ، ومنها ما هو نخيل ، فيحصل بذلك التناغم بين معنيي القراءتين . والله أعلم ."[١].

تتميم للزرع وغيره من جملة النعم المذكورة : .

و تأمل هذا التعبير القرآني ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ الذي يدل على عجيب قدرة الله . تعالى . ؛ لأن جميع الثمر يسقى بماء واحد، ومع ذلك تختلف طُعُومه في المذاق، وتختلف روائحه ، وألوانه ، فهذا مما يستثير الفكر، ويبعث على التأمل، الذي يفضي إلى الاعتراف بعظمة الخالق . سبحانه . .

(١) أثر القراءات القرآنية في دعم اللغة العربية . أ.د/صباح علاوي خلف السامرائي . كلية التربية–سامراء/ جامعة تكريت –العراق صـ١٠ .

اللطيفة الثانية

استدعاء لفظ الزرع لغرض التدليل على البعث .

آية ذلك قوله . تعالى .: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ السجدة: ٢٧

الهدف من ذكر لفظ الزرع في هذا النظم : .

يعد الزرع في هذا النظم الحكيم بمنزلة صورة للإماتة والإحياء ، والمقصود من ذكر الزرع في هذه الآية : الاستدلال على البعث وتقريبه وإمكانه بإخراج النبت من الأرض بعد أن زال فوجه الأول ، وبهذا يكون قد نبه المكذبين بالبعث وأقام الحجة عليهم ، وأدمج في هذا الاستدلال امتنان بقوله تأكل منه أنعامهم وأنفسهم .

والمعنى من خلال السياق : أو لم يشاهد هؤلاء المكذبون بالبعث الوثنيون أننا قادرون على الإحياء، كما نسوق الماء من السماء إلى الأرض اليابسة، فنخرج به زرعا أخضر تأكل منه أنعامهم، وتتغذى به أجسامهم، وتتقوى به أبدانهم.

شمولية لفظ الزرع في هذه الآية ، وطريق التنكير يعزز ذلك : .

ومن الملحوظ أن الله . تعالى . عبر بالمصدر (الزرع) عما يؤول المزروع إليه وهو النبات ... ، وقد قصر أبو حيان الزرع هنا على النبات المعروف من القمح ، والشعير ، والأرز ، ونحو ذلك مما يقتات به دون النخيل والأعناب والزيتون وما أشبهه مما يغرس ويتفكه به ، ولعله اعتمد في

ما ذهب إليه على قوله . تعالى . : ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ .. ﴾ النحل: ١١، وقوله : ﴿ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافٗا ١٦ ﴾ النبأ: ١٥ - ١٦، وقوله: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ ﴾، وقوله : ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ ﴾ يس: ٣٣ - ٣٤ ، فقد بدأ بالحَبّ وهو عموم ما يؤكل من الحنطة والشعير والأرز ...إلخ ؛ لأنه قوت البشر، والناس من دون الحَبّ جياع .

وعلل لذكر الزرع على وجه الخصوص بأنه تشريف له ، وأنه أعظم ما يقصد من النبات(١) ، أما الألوسي فقد ذكر قول أبي حيان وأردفه بقوله : "ويجوز أن يراد به النبات مطلقا"(٢) .

وأرى أن حمل الزرع على العموم أولى من نقله إلى الخصوص إذ لا دليل عليه ، وهذا ما يفيده التنكير بجانب إفادة التعظيم والتكثير ، ومن ثم يشمل الزرع القمح والشعير والأرز وما شابه ذلك ، والنخل والزيتون والأعناب والرمان والتفاح والبرتقال وما شابه ذلك ، فهذه الأشجار تشتل ، وأيضا تتم زراعتها من البذور ، ولولا زراعة البذور ما وجد العديد من الأصناف المتنوعة لنوع واحد من النبات ، فهذا يأتي عن طريق تهجين البذور المستمرة ، ثم زراعتها؛ لإنتاج أصناف جديدة.

---

(١) ينظر البحر المحيط ٤٢٢/٨ .

(٢) روح المعاني ١٣٧/١١ .

وقد يقال إن المراد من تنكير (زرع) التنويع ، وهذا بعيد ، ولو أريد ذلك لجاز أن يقال ، فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم ، وزرعا تأكل منه أنفسهم .

قال الطاهر بن عاشور : "والزرع: ما نبت بسبب بذر حبوبه في الأرض كالشعير والبر"(١) .

سر إيقاع لفظ الزرع موقع لفظ النبات : .

كما أرى أن الله . تعالى . أوقع الزرع موقع النبات ؛ لأن الزرع سبب للإنبات ؛ ولأن في حرفة الزرع المباشر مع انتخاب البذور الجيدة وتوفير بيئة ملائمة للإنبات ضمانا لنمو جيد يسهم في توفير كثير من المحاصيل اللازمة لإمداد البشر باحتياجاتهم الغذائية ، وهذا الذي يجعل للفرد بل للأمة قيمة ، وقد قيل بأن الأمة التي لا تأكل مما تزرع تعتبر أمة متخلفة ، أو لا تعتبر ذات قيمة ، فهذا التعبير يفيد أن الإسلام يشجع الزراعة : وفي هذا السياق قال الرسول . ﷺ .: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»(٢) ، كما ورد عنه . ﷺ . أنه قال «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**»(٣) .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٤١/٢١ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب المزارعة . باب فضل الزرع والغرس ١٠٣/٣ . رقم ٢٣٢٠ .

(٣) الأدب المفرد للإمام . باب اصطناع المال ١٦٨/١ رقم ٤٧٩ .

ففي هذا الحديث الشريف بيان لأهمية نوع من أنواع العمل، وهو استنبات الأرض وزراعتها ، وهذا يبرز مدى حرص الله . عز وجل . وكذلك رسوله . ﷺ . على ما ينفعنا في معيشتنا .

قال الشاعر: .

إذا أَنت لم تزرع وأَبصرت حاصدًا ... ندِمت على التفريط فى زمن البَذْرِ[١]

وقدم الأنعام على الإنسان في الأكل لأن انتفاعها مقصور على النبات والإنسان قد يتغذى بغيره ؛ ولأن أكلها منه مقدم لأنها تأكله قبل أن يثمر ويخرج سنبله [٢] .

ويضيف د/السيد المليجي ومضة جمالية إلى ما سبق بقوله : "وعلى هذا النبات تحيا الأنعام من الإبل والبقر والغنم وغيرها ؛ حيث لا طعام لها إلا هذه النباتات الخضراء أو منتجاتها من الحبوب ، أو النباتات الجافة ، ثم يأتي الدور على الإنسان فيتغذى على النباتات وعلى الحيونات التي عاشت عليه وتربت على أكله واستهلاكه ، والإنسان يتغذى على الحيوانات لحما ولبنا وبيضا ..إلخ ، .. ومن الفوائد التطبيقية في تقديم أكل الأنعام على أكل الناس ..أن الأرض الصحراوية عندما تستصلح لأول مرة فإن دورة الزراعة بها تبدأ بزراعة نباتات العلف كالبرسيم لدورة أو عدة دورات حسب حالة الأرض ، وبعد أن تتحسن حالتها وخواصها نزرعها بما يأكله الناس من

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ١٣٣/٣. ط/ دار الكتب العلمية – بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ .

(٢) ينظر مفاتيح الغيب ٢٥/ ١٥١ ، والبحر المحيط ٤٢٢/٨ ، وغرائب القرآن ٤٤١/٥ ، وروح المعاني ١٣٧/١١ .

محاصيل وخضر وفواكه ، فإن ذلك أضمن لنجاح عملية الإصلاح والاستزراع ، وأجدى من الناحية الاقتصادية"[١] .

وعلى منوال ما سبق من استدعاء لفظ الزرع لغرض التدليل على البعث ، ومجيئه على صيغة المصدر قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ الزمر: ٢١ .

المراد بلفظ الزرع في هذا النظم : .

وليس المراد بالزرع في هذا النظم المعنى الحقيقي وهو عملية طرح البذر في الأرض ، وإنما المقصود بالزرع هنا النبات ، وقد دل على ذلك تعلق الزرع بالفعل يخرج ، ونظير ذلك قوله . تعالى . : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ الأنعام: ٩٩ ، وقد دل على ذلك . أيضا . إسناد الفعل يهيج إلى الزرع ، ووصفه بالاصفرار والحطام ، فهذه أوصاف أحوال النبات وليس الزرع .

والزرع المراد به النبات في هذا النظم هو أحد المظاهر التي تدل على قدرة الله على بعث الناس وإعادتهم ثانية ، كما تدل على سرعة زوال الحياة

---

(١) الإشارات العلمية في القرآن الكريم (علم النبات في القرآن الكريم) . صـ ٢٨١ ، ٢٨٢ .

الدنيا وذهاب بهجتها، ونضارتها بما ذكر من أحوال الزرع تحذيرا من الاغترار بزهرتها وزخارفها وزينتها ، وقد أدمج في هذا الاستدلال الامتنان بما تقوم به الحياة ، والتذكير بنعمه .

مجيء لفظ الزرع نكرة : .

وتنكير الزرع لإفادة العموم بجانب إفادة الكثرة والتنويع ، وقد ألمح إلى ذلك أبو حيان بقوله : "وشمل لفظ الزرع جميع ما يرزع من مقتات وغيره"(١)، وأيده الألوسي في ذلك(٢) .

وفي هذا النظم ملحظ آخر ، وهو أن الإشارة إلى اختلاف ألوان الزرع في قوله :﴿ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ﴾ أدل على بديع القدرة ، وأعجب في الصنعة لاختلاف المسبَب وهي ألوان النبات والثمر مع اتحاد السبب وهو الماء .

ولعل القاريء يلمس دقة التعبير القرآني في اختيار الفعل المضارع ﴿يُخۡرِجُ ﴾ والعدول إليه عن الماضي كما يقتضيه أسلوب العطف لاستحضار صورة إخراج الزرع لدى السامع حتى كأنه يشاهدها ، وفي التعبير بـ (ثم) فقال:﴿ ثُمَّ يُخۡرِجُ ﴾إذ يكون إخراج النبات متراخياً عن نزول المطر، وفي إيثار العطف بالفاء فى قوله ـ تعالى . : ﴿ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ﴾ لقصر الزمن بين هيجان الزرع واصفراره ، بينما أوثر العطف بـ (ثم) فى قوله ـ تعالى . :﴿ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ ﴾ لأن الزمن بين اصفرار النبات وجفاف ماء الحياة منه زمن أطول بالنسبة إلى الزمن بين هيجانه واصفراره ، وقد ثبت للعلماء أن الزرع يحتوي في ساقه وورقه على نسب كبيرة من مادة السليكون

---

(١) البحر المحيط ١٩٤/٩

(٢) ينظر روح المعاني ٢٤٥/١٢ .

التي يصنع منها الزجاج ؛ ولهذا نراه يتكسر حين يصفر، كما يتكسر الزجاج، وذلك يشكل إعجازًا علميًّا من إعجاز القرآن إلى جانب إعجازه البياني، الذي يسمو فوق كل بيان ، وهذا الزرع يأخذ دورة فى الحياة كدورة الكائن الحي، ينتقل من طور الطفولة إلى الشباب ، فالكهولة، فالشيخوخة، فالموت.. ما أجمل هذه الدقة في التعبير القرآني بحيث تفي الحروف والكلمات القليلة بالمعاني التي توحي بها هذه الآية .

إيقاع الزرع فاعلا مضمرا : .

ومما ألحظه في هذا النظم أن فاعل الفعل يهيج هو : الزرع ، وإنما حذف إيجازا ؛ لدلالة ما قبله وهو قوله :﴿ زَرْعًا ﴾ عليه، وهيجان النبات: أي : فورانه ، وبلوغ أشدّه ، وهو أشبه بفوران الشباب وهيجانه ، ولننظر كيف ألقى صاحب التحرير الضوء على هذا اللفظ إذ يقول : "ومعنى يهيج يغلظ ويرتفع ، وحقيقة الهياج: ثورة الإنسان أو الحيوان، ويستعار الهياج لشدة الشيء من غير الحيوان يقال: هاجت ريح، ومنه هياج الزرع في الآية؛ لأن الزرع تطول سوقه وسنابله فيتم جفافه ، فإذا تحرك بمرور الريح عليه صار له حفيف وخشخشة سواء في ذلك الحب والكلأ"(١) .

ومجمل القول : أن مشهد الزرع بدلالته المجازية ، وبأحواله المختلفة يذكر الإنسان بنهاية الحياة ، وبعودة الأموات إلى الحياة ، فرغم أن هذا المشهد يتعلق بعالم النبات، إلا أنه ينبه الإنسان إلى أن مثل هذا الأمر سوف يتكرر في حياته وعمره هو . أيضا . مع وجود بعض الاختلاف في مدة الأعمار، ولكن الأساس واحد ، إذ يبدأ بالولادة ثم يتدرج إلى النشاط والشباب ، ومن ثم الذبول والكهولة ، وفي النهاية الموت.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٧٨/٢٣ .

اللطيفة الثالثة

اختيار لفظ الزرع لغرض المدح .

هذه صورة أخرى للزرع يشبه الله . عز وجل . به النبي . ﷺ . وأصحابه فيقول : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح: ٢٩ .

والتشبيه هنا تشبيه تمثيلى للنبي . ﷺ . وأصحابه

فقد شبه الله . عز وجل . حال النبي . ﷺ . حين بعث وحيدا فكثر المسلمون حوله بحال الزرع أي بالحبة الواحدة التي أنبتت نبتة واحدة ، ثم خرج من جانبها نبت كثير . وهذا هو الشطء[١] . وشيئا فشيئا تنمو هذه الشطآن، وتعلو، ويتخلّق لها ساق تقوم عليه ، وأوراق تكسو هذا الساق ، وفروع وأغصان، وأزهار وثمار ، فتعجب جودته أصحاب الزراعة، العارفين بها ، وهذا ما نقله البغوي من أن "الزرع: محمد . ﷺ . ، والشطء: أصحابه والمؤمنون"[٢] ، وهذا ما صرح به صاحب الكشاف بقوله : "وهذا

---

(١) ينظر تفسير مجاهد ص٦٠٩ . ت/ الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل .ط/: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر .الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م ، ولسان العرب ١/١٠٠ مادة (شطأ) .

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ٤/٢٤٥ .ت/ عبد الرزاق المهدي . ط/ دار إحياء التراث العربي –بيروت .الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم ؛ لأنّ النبي ـ ﷺ . ، قام وحده ، ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزرّاع"(١).

ووجه الشبه مركب من التدرج في النمو، والتحول من القلة إلى الكثرة إلى الاستحكام والقوة ، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ الأنفال: ٢٦ ، وقوله :﴿..وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ..﴾ الأعراف: ٨٦ .

والغرض من هذا التمثيل : هو مدح الصحابة بالتفافهم حول رسول الله . ﷺ . ، وحبهم ، ووفائهم ، وولائهم ، وتأييدهم ، وفدائهم له . ﷺ . ، والتنويه بانتشار الإسلام واستقراره .

وصورة المشبه به تشير إلي حقيقة علمية من حقائق علم النبات ، وهي حقيقة التكاثر في بعض النباتات بالأشطاء ، أي البراعم التي تنمو عند المنطقة الفاصلة بين الجذر والساق، وذلك في العديد من النباتات الاقتصادية المهمة ، مثل القمح ، والشعير، والأرز ، والذرة الرفيعة، وقصب السكر، وغيرها من نباتات العائلة النجيلية ، ينبت من الحبة الواحدة مجموعة من السيقان الإضافية(الأشطاء) التي تحيط بالساق الأصلي مكونة حزمة مركبة من السيقان المتصلة ببعضها البعض في مجموعة واحدة من الجذور الليفية التي خرجت من حبة قمح واحدة عند إنباتها، أي من أصل واحد،

(١) الكشاف ٤/٣٥٠ .

وهذا الأصل الواحد عبارة عن بادرة واحدة خارجة من بذرة واحدة، ولها مجموع جذري واحد ، وسرعان ما تنمو الأشطاء حتى تصل إلى طول الساق الأصلية تقريبا، وتعطي سنابل مثلها، بحيث يكون لكل شطء سنبلته الخاصة به ، وبذلك تنبت الحبة الواحدة من القمح عدة نباتات في حزمة واحدة يحمل كل منها سنبلته أو سنابله.

وتخرج الأشطاء متلاحقة، واحدا تلو الآخر، ومن هنا كان التعبير هنا بالإفراد(أخرج شطأه) ، وبتكاثر الأشطاء فإن الساق الأصلي للنبات يحاط بعدد من السيقان الثانوية، (الأشطاء) التي تنمو حوله على هيئة حزمة من الأعواد القائمة تزيد من سمك النبتة الأساسية، وتغلظ قطرها، وتمكنها من الاستواء منتصبة فوق مجموعها الجذري فتزيد من تثبيتها في مهب الريح بشغل مساحة أكبر من الوسط النامية فيه، وتضاعف من غلتها، وتبعد الأعشاب الضارة بالحيلولة دون نموها بالقرب من الساق الأساسية والمجموعة الجذرية. أما الفسائل(مثل فسائل النخل) فإنها تضعف الأم، وتقلل من العصارة الغذائية الواصلة إليها خاصة للأنواع التي تنمو على ارتفاع من جذع النخلة، بالإضافة إلى أنها تصبح مأوى للآفات والحشرات المختلفة.

ويلحظ في الآية الكريمة الدقة البالغة في اختيار لفظة (شطء) ؛ وذلك لأن الأشطاء تختلف اختلافا كليا عن الفسائل، وعن غيرها من أنواع الخلفات النباتية الأخرى، ففي الوقت الذي لا تنفصل فيه الأشطاء عن نباتها الأصلي، تنفصل الفسائل وغيرها من أنواع الخلفات النباتية عن أصولها، كما يحدث مع النخل .

وجاءت صورة المشبه به لتبرز قوة الترابط بين هذا الرسول الخاتم ـ ﷺ ـ وصحابته الكرام والتي تجسدت في توادهم، وتعاطفهم، وتراحمهم ، بدرجة لم يسبق لها مثيل في علاقات الناس أفرادا وجماعات ، فتشبههم بالأشطاء حول الأصل يشد بعضه بعضا، ويتلقى الكل عن أصل واحد ، ويتغذى من معين واحد، ولم تشبههم بالفسائل لاختلاف دورها اختلافا كليا عن دور الأشطاء .

ففي الوقت الذي تتغذى فيه الأشطاء كلها مع الساق الأصلي من مجموع جذري واحد لا تنفصل عنه أبدا وإلا ماتت ، فإن الفسائل التي تنمو من قاعدة النخلة تنفصل عن أصولها بإنتاج جذور جانبية عرضية لا تلبث أن تنمو لتصبح مصدرا أساسيا لتغذية الفسيلة التي تستقل فورا عن أصلها ، وتغدو صالحة للنقل بعيدا عنها لتبدأ حياة مستقلة تماما عن الأصل الذي جاءت معه ، والمثل الذي يضع النبي ـ ﷺ ـ حيث بعث ، وقام وحده بالدعوة إلى دين الله الكامل التام ، في مقام التشبيه بالزرع المبارك ، ووضع أصحابه في التفافهم حوله ، وحبهم له ، وإخلاصهم ، ووفائهم لشخصه الكريم، واعتمادهم ـ بعد الله ـ تعالى ـ على هديه اعتمادا كاملا، في مقام التشبيه بالأشطاء النامية حول الزرع المبارك ، لا يمكن أن يستخدم فيه تعبير الفسيلة التي سرعان ما تنفصل عن أصلها ، وصحابة رسول الله ـ ﷺ ـ كانوا ألصق الناس به، وأقربهم إليه، وظلوا مرتبطين به طيلة حياته الشريفة ، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وما من أحد من الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ ولا من المسلمين عامة إلا ويدعو الله ـ تعالى ـ أن يحييه على سنة هذا الرسول

الخاتم ، وأن يميته على ملته ، وأن يجمعه به في الفردوس الأعلى إن شاء الله[١].

وقد جعل البغوي التمثيل للصحابة فقط ، وتبعه البيضاوي وغيره[٢]، وقد رأى الطاهر بن عاشور وجها آخر وهو أن التمثيل قابل لاعتبار تجزئة التشبيه في أجزائه بأن يشبه محمد ـ ﷺ ـ بالزارع ، ويشبه المؤمنون الأولون بحبات الزرع التي يبذرها في الأرض مثل: أبي بكر ، وخديجة ، وعلي ، وبلال ، وعمار، والشطء: اللاحقون من المسلمين ممن أيدوا المسلمين الأولون ، فإن النبي ـ ﷺ ـ دعا إلى الله وحده ، وانضم إليه نفر قليل ، ثم قواه الله بمن تضامن معه[٣]، وهذا معنى : ﴿فَآزَرَهُۥ﴾ ، والضمير فيه عائد على الزرع ، أي آزر الشطء الزرع أي قواه وأعانه .

مجازية الزرع وبلاغة التعبير به : .

وقد استعمل النظم القرآني لفظ :﴿كَزَرْعٍ﴾ مجازا ،والحقيقة كنبت ، فأطلق السبب وأراد المسبب ، واستعمل لفظ (الزراع) على الحقيقة .

لكن لماذا عبر بـ(زرع) دون نبت أو نبات ؟ أقول: ليشير إلى أنه ليس بنبت شيطاني كما يدعى ، وإنما هو نبت مقصود زرعه ، والمقصود زرعه منتقى ومصطفى ، وليشير إلى أن يد الزارع تمتد إلى زرعه وترعاه .

---

(١) ينظر : من آيات الإعجاز العلمي : النبات في القرآن الكريم .د/ زغلول النجار ص١٣٦ . ط/ مكتبة الشروق .

(٢) ينظر معالم التنزيل ٢٤٥/٤ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٣٢/٥ .

(٣) التحرير والتنوير ٢١٠/٢٦ .

وقد دل العطف بالفاء في جانب المشبه به وهو قوله:﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾على سرعة انتشار الإسلام واستقراره، وقد أشار إلى ذلك الشيخ سيد قطب بقوله : "ومن الدقائق اللطيفة هنا، أن الصورة العامة تسير على طريقة الإطالة . كما أسلفنا . ولكن الأجزاء الأولى منها تتم في سرعة متعاقبة: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ فقد تم الغلظ والاستواء في مدى قصير ، ثم ثبت بعد ذلك وقر ، إن الإسراع الأول مقصود كالاستقرار الأخير في تصوير حال المسلمين ، يتم نموهم، ثم يستقر وضعهم أبدًا"(١).

لماذا قال : ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ ولم يقل يعجب الناس ؟ .

ثم إنه قال : ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ ولم يقل يعجب الناس ؛ لأن النبات إذا أعجب الزراع العارفين بالعيوب فهو أحرى أن يعجب غيرهم ، وفي هذا كناية عن أن هذا النبت لا عيب فيه ، وفي التعبير ما لا يخفى من مدح الصحابة رضوان الله . تعالى . عليهم أجمعين

الحذف في قوله :﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾: .

(١) التصوير الفني في القرآن. سيد قطب . صـ١٣٤ ، ١٣٥ .ط/دار الشروق . الطبعة السادسة عشرة ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م ، وينظر أيضا خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢/٢٤٠ .

وألحظ التقدير في قوله : يعجب الزراع . أي : يعجب الزرع الزراع، وإنما حذف الفاعل لدلالة قوله :﴿ كَزَرْعٍ ﴾عليه اختصارا ؛ لأن ما حذف يمكن أن يدركه ويفهمه المتلقي .

اللطيفة الرابعة

استخدام لفظ الزرع لغرض الإنكار والتوبيخ .

جاء ذكر لفظ الزرع على صيغة جمع الكثرة فيما حكاه الله عن صالح . عليه السلام . إذ أ نكر على قومه ظنهم أنهم مخلدون في هذا النعيم من الجنات والزروع والنخل ، ووبخهم على ذلك . أيضا . بقوله: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾

الشعراء: ١٤٦ – ١٤٨.

مجيء لفظ الزرع على صيغتي جمع الكثرة والتنكير : .

زروع : جمع زرع وهو النبات الذي يتغذى منه الإنسان ، من قمح وأرز وغير ذلك من النعم التى أنعم بها على الإنسان فى غذائه ، ويشمل النبات . أيضا . الحشائش التى تأكلها الأنعام .

والتعبير بلفظ (زروع) يدل على أن ثمود كانت تنعم بالحياة الزراعية المستقرة الخصبة ، كما تدل صيغة الجمع (زروع) على كثرة هذه الزروع ، وقد تعاونت صيغة التنكير مع صيغة الجمع في إفادة الكثرة ، وزادت عليها بإفادة التنويع ، فهذه الزروع كثيرة ، ومتنوعة ، ومتعددة ، وكذا الجنات ، والعيون والنخل ، وقد ناسب التعبير بصيغة الجمع والتنكير مقام التذكير بالنعم ، ولعل القارئ يلحظ أن في طي تذكيرهم بالنعم تخويفهم من سلب هذه النعمة، وتخويفهم من حسابهم على ما كان من تصرفهم في حق هذه النعم وفي حق المنعم . سبحانه وتعالى . .

وقد وردت هذه النعم تفصيلا لما أجمل في قوله : ﴿مَا هَٰهُنَآ﴾نظرا لما في التفصيل من الأهمية ، قال الزمخشري فى قوله : "﴿مَا هَٰهُنَآ﴾في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ، ثم فسره بقوله :﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل . فإن قلت : لم قال ﴿وَنَخْلٍ﴾ بعد قوله : ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾، والجنة تتناول النخل أول شيء ، كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج ، حتى أنهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخيل ؛ كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل . قلت : فيه وجهان : أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر ؛ تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها ، وأن يريد بالجنات : غيرها من الشجر ؛ لأن اللفظ يصلح لذلك ، ثم يعطف عليها النخل"(١) .

وللإمام الزمخشري السبق في هذا التوجيه ، وأغلب من جاءوا بعده نقلوه عنه ، والرأي الثاني للزمخشري له سند من القرآن الكريم يقويه ، وهو قوله :﴿ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ الرعد :٤ .

وقد رأى ابن عاشور حكمة أخرى من تخصيص النخل بالذكر فقال : "وخص النخل بالذكر مع أنه مما تشمله الجنات لقصد بيان جودته بأن طلعه هضيم"(٢) ، فهذا الوعاء الذي يطلع من النخل كنصل السيف ، بعد خروجه بأيام ينفلق ذلك الوعاء عن أغصان فيها حب صغير، ثم يغلظ ويصير بسرا، ثم تمرا ، طعمه لذيذ ، هضمه لين .

---

(١) الكشاف ٣/٣٣٢ .

(٢) التحرير والتنوير ١٩/١٧٥ .

هكذا رأينا أن صالحا ـ عليه السلام ـ قد لفت أنظار قومه إلى ما يتقلبون فيه من نعم تشمل البساتين والعيون، والزروع المتعددة ؛ كي يوقظ قلوبهم الغافلة ، نحو طاعة الله ـ تعالى ـ وشكره ، وليخوفهم من حساب الله لهم على ما كان من تصرفهم في حق هذه النعم وفي حق المنعم ـ سبحانه وتعالى ـ .

وقريب من الآية السابقة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ الدخان: ٢٥ – ٢٦ .

فهذا بيان لما خلف آل فرعون الهالكون غرقا ، خلفوا وراءهم جنات مثمرة، وعيونا جارية ، وزروعا مونقة ، وحياة طيبة ، وهو شيء كثير أفاضه الله على القوم من فضله ، فما زادهم ذلك إلا طغيانا وكفرا ، وها هم أذلاء قد خلفوه وراءهم يعيش فيه غيرهم ، وينعم به سواهم ، فما أغنت عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله من شيء ٠

اللطيفة الخامسة

استعمال لفظ الزرع لغرض بيان كثرة المنافع .

جاء ذلك في قوله . تعالى . : ﴿ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ الكهف: ٣٢ .

وقع لفظ (زرعا) صفة ثالثة للجنتين ، والمقصود منه أمور: .

أحدها: إفادة أن تلك الأرض جامعة للأقوات والفواكه.

ثانيها: إفادة أن تلك الأرض متسعة الأطراف متباعدة الأكناف .

ثالثها: إفادة أن هذه الأرض تأتي في كل وقت بمنفعة أخرى وهي ثمرة أخرى فكانت منافعها دارة متواصلة .

وتعد هذه الصفة أحد الصفات التي استخدمت في مقام الإطناب ، فمن الملحوظ أن الله . تعالى . حينما وصف نشأة الجنتين أسهب ، واسترسل ، وفصل فقال : ﴿ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ ﴾ سبع جمل ، كذلك الحياة تنشأ شيئا فشيئا ، وتنمو جزءا فجزءا ، وتحتاج إلى رعاية ، وتربية ، وتدبير، لكن الموت يأتي كلمح بالبصر ؛ ليضرب ضربة واحدة...﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ الكهف: ٤٢ جملة واحدة موجزة ، لكنها كافية للإجهاز على كل ما سبق ، فالجنين يحتاج إلى بضعة شهور ليتكون في الرحم بإذن الله ، لكن لا يحتاج إلا لأقل من ثانية ليموت بأمر الله ، فانظر

كيف توافق أسلوب الإطناب مع حظ الحياة ، وأسلوب الإيجاز مع حظ الموت. حقا لكل مقام مقال .

ولاحظ كيف أن فعل الإحاطة . الذي بني للمجهول ليشعر بالخفاء والغموض والبغتة . وقع على الثمر ، وهي آخر ما ذكر في مسار الحياة وأشرف ما فيها ؛ لأن لها مقام المقصد ، وما سبقها من باب الوسائل.

وإسناد هذه الأفعال : (حففنا ، فجرنا ، جعلنا) إلى ضمير الذات الإلهية يكشف عن سر بياني بديع ، وهو أن هذه الأفعال كلها لله وحده ، وليس للرجل صاحب الجنتين أي فعل سوى الأخذ بالأسباب العادية ، ولا شك في أن هذه الأفعال فيها من العظمة مالا يخفى ، ولذلك جاء التعبير بضمير الجمع المفيد للتعظيم(١) .

الزرع في معرض التتميم : .

والمتأمل في هذا النظم الحكيم يلحظ ثلاثا من الفنون البلاغية ، وهي التتميم والاحتراس والكناية : فقد يحتمل أن تكون الجنتان في قوله :﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾مجرد اجتماع شجر متكاثف يستر بظل غصونه الأرض، كما تقتضيه الدلالة اللغوية على معنى الجنة ، ومن ثم تمم ذلك بقوله : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾؛ لئلا يتوهم أن الانتفاع قاصر على النخيل والأعناب ، ولتكون كل من الجنتين جامعة للأقوات والفواكه، على الشكل الحسن والترتيب الأنيق .

---

(١) ينظر : دراسة بيانية لمثل الرجلين في سورة الكهف.معاذ قحطان صـ٦. ط/ المجلس اليمني.

وهـذا تتمـيم ثـان: ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ فائدتـه : استحضـار الصورة التامة للانتفاع بالموارد ، و يأتي الاحترس بقولـه: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾من أن يكون ثمة نقص في الأكل الذي آتته، وليكون كناية عن تمام الجنتين ، ونموهما دائما وأبدا .

ويعطف . سبحانه . على التتميم السابق تتميما آخر بقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَلَهُمَا نَهَرًا ﴾للدلالة على ديمومة الانتفاع بهما، فإن الماء هو سر الحياة ، وبهذا يكون الرجل قد استكمل كل الملاذ ، واستوفى ضروب النعم .

اللطيفة السادسة

استدعاء لفظ الزرع لغرض بيان الاحتياج إليه .

يتضح هذا في قوله . تعالى . : ﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٧ .

التعبير بقوله :﴿ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ يشير إلى حالين : .

الأول : أنه واد ليس به ماء فحيث يوجد الماء؛ يوجد الزرع، فالماء هو الأصل الأصيل في استبقاء الحياة، قال ابن عطية ما ملخصه : وإنما لم يصف إبراهيم . عليه السلام . الوادي بالخلو عن الماء مع أنه حاله إذ ذاك ؛ لأنه كان على علم بأن الله . تعالى . لا يضيع إسماعيل . عليه السلام . وأمه في ذلك الوادي وأنه . سبحانه . يرزقهما الماء ، فنظر . عليه السلام . النظر البعيد للعاقبة فقال : ﴿ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾[(١)] ، قال أبو حيان : "وقد يقال إن انتفاء كونه ذا زرع مستلزم لانتفاء الماء الذي لا يمكن أن يوجد زرع إلا حيث وجد الماء، فنفى ما يتسبب عن الماء وهو الزرع لانتفاء سببه وهو الماء"[(٢)].

ومن العلماء من رأى بناء على هذا التعبير "أن طلب الماء لم يكن مهما لإبراهيم . عليه السلام . لما أن الوادي مظنة السيول والمحتاج للماء يدخر منها ما يكفيه ، وكان المهم له طلب الثمرات ، فوصف ذلك بكونه

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣٤١/٣ .

(٢) البحر المحيط ٤٤٦/٦ .

غير صالح للزرع ، بيانا لكمال الافتقار إلى المسئول فتأمل"[١] ، ولذلك حينما أمر إبراهيم . عليه السلام . هاجر عليها السلام بالسكن مع ابنها في ذلك المكان نادته: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ فقال لها: إلى الله قالت: رضيت بالله[٢].

الثاني : انه واد ليس به ثمرات ، فهو إذا لم يكن فيه زرع لم تكن فيه ثمرات ولذلك قال :﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ .

سر التعبير بلفظ الزرع في هذا النظم : .

وعبر بالزرع دون ما يؤول المزروع إليه من نبت وثمر ليشر إلى كون هذا الوادي غير صالح للزراعة من أول الأمر ، فالزرع وسيلة ، والإنبات والثمر غاية ، وإذا انتفت الوسيلة فمن باب أولى انتفاء الغاية ؛ لذا كان هذا التعبير أبلغ .

يقول الشهاب : "قوله غير ذي زرع كقوله: ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٍ ﴾سورة الزمر: ٢٨ يفيد المبالغة في أنه لا يوجد فيه ذلك ؛ لأن معناه ليس صالحا للزرع ، وليس صالحاً للعوج فلذا عدل عن مزروع"[٣] .

وقد زاد ابن عاشور المعنى وضوحا بقوله : "و ﴿غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ صفة، أي بواد لا يصلح للنبت ؛لأنه حجارة ، فإن كلمة ذو تدل على

---

(١) روح المعاني ٧/٢٢٤ .

(٢) ينظر صحيح البخاري ٤/١٤٤ . كتاب أحاديث الأنبياء . باب حدثنا إسحاق عن أبي هريرة قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوما بلحم ...

(٣) حاشية الشهاب ٥/٢٧٠ .

صاحب ما أضيفت إليه وتمكنه منه ، فإذا قيل: ذو مال، فالمال ثابت له، وإذا أريد ضد ذلك قيل : غير ذي كذا ، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ ، أي لا يعتريه شيء من العوج ؛ ولأجل هذا الاستعمال لم يقل : بواد لا يزرع ، أو: لا زرع به"[1].

(١) التحرير والتنوير ٢٤١/١٣ .

اللطيفة السابعة

استدعاء لفظ الزرع لغرض تنظيم الزراعة .

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ يوسف: ٤٧ .

المعنى من واقع السياق : -

بعد وقوف يوسف . عليه السلام . على أن السنين القادمة هي سنوات الوفرة ، حيث تليها سنوات المجاعة والقحط ، شرع في دعوة الناس وإرشادهم إلى الزراعة ، وزيادة الإنتاج ، وعدم الإسراف في استعمال المنتجات الزراعية ، وتقنين الحبوب ، وتخزينها ، والاستفادة منها في أيام القحط والشدة .

المراد بلفظ الزرع في هذه الآية ، وسر العدول عن الأمر إلى الإخبار : .

والمقصود من قوله : ﴿تَزْرَعُونَ ﴾ هو طرح البذور في التربة حتى تنبت ، وتعهد الزراع هذا النبات بالرعاية والعناية حتى يأتي موعد الحصاد ، وقد رأى الزمخشري أن قوله : ﴿تَزْرَعُونَ ﴾ خبر في معنى الأمر ، كقوله : (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون) الصف : ١١ ، وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به ، فيجعل كأنه يوجد ، فهو يخبر عنه ، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله : ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾[1] .

---

(١) الكشاف ٢/٤٤٩ .

وهذا أسلوب عربي قد جرى عليه القرآن الكريم كثيرا ، وإنما عدل عن الأمر إلى الإخبار ؛ لأن الزرع هو مقتضى طبعهم وعملهم ، . ولذلك قال: ﴿دَأَبًا ﴾ أي على عادتكم في الزراعة من الجد والتعب فيها . ، وما يوافق الطبع لا يحتاج إلى الأمر به ، بل يكفي مجرد توجيه إليه ، ولكن إبقاء الحب في السنبل وحفظه فيه كان خلاف عملهم ، فلذلك أمرهم به بقوله ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾[١] .

وقد اعترض أبو حيان على ما ذهب إليه الزمخشري بأن الأمر بترك الحب في سنبله لا يدل على أن ﴿تَزۡرَعُونَ ﴾ في معنى: ازرعوا ، بل تزرعون إخبار غيب بما يكون منهم من توالي الزرع سبع سنين ، وأما قوله: ﴿فَذَرُوهُ ﴾فهو أمر إشارة بما ينبغي أن يفعلوه[٢] ، ووافقه في ذلك النيسابوري، فبعد أن ذكر رأي الزمخشري قال: "وأقول: يمكن أن يكون قوله: ﴿تَزۡرَعُونَ ﴾ إخبارا عما سيوجد منهم في زمن الغيث والمطر؛ لأن الزرع يلزم بنزول الأمطار عادة ، وقوله : ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ يوسف: ٤٨ فيه دليل على أن ﴿تَزۡرَعُونَ ﴾ إخبار لا أمر"[٣] ، كما صرح البقاعي بأن قوله : ﴿تَزۡرَعُونَ ﴾ "إخبار بمغيب ، وهو أقعد في معنى الكلام"[٤] .

---

(١) ينظر القول المنصف في تفسير سورة يوسف. محمد طه الباليساني صـ١٢١ . ط/ الجمهورية العراقية . وزارة الأوقاف والشئون الدينية ١٩٨٣م .

(٢) البحر المحيط ٦/٢٨٥.

(٣) تفسير النيسابوري ٤/٩٣ .

(٤) نظم الدرر للإمام البقاعي ٤/٥٢ . ت/ عبد الرزاق غالب المهدي . ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م .

وفي ختام المبحث الثاني أرى أنه قد اتضح لنا كثرة التعبير بلفظ الزرع في كلام الله ، واستخدام دلالته الحقيقية والمجازية ، وأن الدلالة المجازية هي الأكثر استعمالا ، وأكثرها هي دلالة الزرع على النبات .

كما اتضح لنا تنوع صيغ لفظ الزرع بين الإسمية والفعلية ، والتعريف والتنكير ، وتنوع الأغراض البلاغية لذكر الزرع ، فتارة يستدعى لغرض التذكير بالنعم ، والتدليل على كمال القدرة الإلهية ، وتارة ينتخب لغرض التدليل على البعث ، وتارة يأتي لغرض المدح ، وتارة يستدعى لفظ الزرع لغرض الإنكار والتوبيخ ، وتارة أخرى لغرض تنظيم الزراعة،إلخ....

كما أفاد التعبير بلفظ الزرع أن الزرع المباشر مع انتخاب البذور الجيدة وتوفير بيئة ملائمة للإنبات ضمانا لنمو جيد يسهم في توفير كثير من المحاصيل اللازمة لإمداد البشر باحتياجاتهم الغذائية.

ومما لا شك فيه أن الإسلام الذي حثنا على زرع البذور الجيدة يلفتنا من خلاله إلى زرع الخير في الناس في كل مكان وزمان ، فبذرة الشر تهيج ، ولكن بذرة الخير تثمر، وقد قيل : من يزرعْ خيرا يوشك أن يحصُد خيرا.

ومن أجمل ما قاله الشيخ ناصيف اليازجي[١]:.

ازرع جميلاً وَلَو فِي غير مَوْضِعه ..... فَلَا يَضِيعُ جميلٌ أَيْنَمَا زُرِعا

إِن الْجَمِيلَ وَإِن طَال الزَّمَانُ بِهِ ..... فَلَيْسَ يَحصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زَرَعا

وعلى الإنسان ألا يستعجل حصد الثمرة، فالثمرة إن لم ترها في الدنيا فقطعاً ستراها في الآخرة.

(١) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار. للمؤلف: شاكر بن مغامس بن محفوظ بن صالح شقير البتلوني صـ ٦٠ . تحقيق: إبراهيم اليازجي .ط/ المطبعة الأدبية.بيروت . الطبعة: الثالثة ١٨٨٦ م

الخاتمة

يطيب لي وقد وصل البحث إلى نهايته ، أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها ، وهي : .

(١) : اهتمام القرآن الكريم بالحرث والزرع وأحوالهما ، ولا عجب في ذلك ، فهو منزل لإرشاد البشرية ، وهدايتهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة .

(٢) : توصلت بمعاونة السياق وقرائن الأحوال إلى أن القرآن العظيم استعمل الدلالة الحقيقية والمجازية للفظي الحرث والزرع ، لكن استعماله للدلالة المجازية أكثر ، وهي دلالات مادية محسوسة ، ومعان مجردة تشكل بعدا نفسيا عميقا لتشبعها بالوازع الديني والدنيوي .

(٣) : القرآن الكريم حوى في سوره كثيرا من لفظي الحرث والزرع ، ووظفهما توظيفا يتناسب مع سياق الآيات المشتملة عليهما . وكثرة ورود لفظي الحرث والزرع توحي بأهميتهما ، فالحرث له دور كبير في تحسين بنية التربة ، مما ينتج عنه زيادة المحاصيل كمًّا وجودة ، كما أن في حرفة الزرع المباشر مع اختيار البذور الجيدة وتوفير بيئة ملائمة للإنبات ضمانا لنمو جيد يسهم في توفير كثير من المحاصيل اللازمة لإمداد البشر باحتياجاتهم الغذائية .

(٤) : تنوع الأغراض البلاغية للفظي الحرث والزرع في القرآن الكريم ، وقد أشرت إليها في ثنايا البحث تفصيلا ، وفي ختام كل مبحث إجمالا .

(٥) : تعدد الأبنية الصرفية للزرع وتنوعها بين الاسمية والفعلية ، احتلت الصيغ الاسمية مكان الصدارة يليها الصيغ الفعلية ، في حين اقتصر مجيء لفظ الحرث على صيغتين لا ثالث لهما ، صيغة المصدر وكان لها

الصدارة ، وصيغة الفعل المضارع حيث وردت في موضع واحد في النظم الحكيم .

(٦) أخذ على بعض العلماء عدم دقتهم في تحديد الدلالة الأصلية للفظي الحرث والزرع ، وخلطهم بين الدلالة الحقيقية والمجازية ، كما توصل البحث إلى أن هناك فرقا بين الحرث والزرع ، وبين الزرع والغرس ، وبين الزرع والنبات .

هذا وبالله التوفيق ، والحمد لله رب العالمين .

محمد السيد أحمد عبدالله
مدرس البلاغة والنقد في
كلية اللغة العربية بالزقازيق

المصادر والمراجع

(١) : أثر القراءات القرآنية في دعم اللغة العربية . أ.د/صباح علاوي خلف السامرائي . بحث في كلية التربية . سامراء . جامعة تكريت . العراق .

(٢) : الأدب المفرد للإمام البخاري . ت/ محمد فؤاد عبد الباقي .ط/ دار البشائر الإسلامية – بيروت . الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩. ١٩٨٩م .

(٣) : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود . ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٤) أساس البلاغة للزمخشري. ت/ محمد باسل عيون السود .ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

(٥) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم لأبي بكر الصولي . ط/ مطبعة الصاوي: ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م .

(٦) الإشارات العلمية في القرآن الكريم (علم النبات في القرآن الكريم) . تأليف د/ السيد عبد الستار المليجي .ط/ الهيئةالمصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥ .

(٧) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي . ت/ محمد عبد الرحمن المرعشلي . ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

(٨) : البحر المحيط لأبي حيان . ت/ صدقي محمد جميل .ط/ دار الفكر – بيروت .الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

(٩) : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور التونسي. ط/دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م .

(١٠) : التصوير الفني في القرآن. سيد قطب . .ط/دار الشروق . الطبعة السادسة عشرة ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م .

(١١) : التفسير الحديث المؤلف: دروزة محمد عزت . ط/ دار إحياء الكتب العربية –القاهرة . الطبعة: ١٣٨٣ هـ .

(١٢) : تفسير الشعراوى .مطابع أخبار اليوم .

(١٣) :تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم . ت/: أسعد محمد الطيب . ط/: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية . الطبعة: الثالثة– ١٤١٩ هـ

(١٤) : التفسير القرآني للقرآن للشيخ عبد الكريم الخطيب .ط/ دار الفكر العربي – القاهرة .

(١٥) : تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا .ط/: الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة النشر: ١٩٩٠ م .

(١٦) : تفسير مجاهد . ت/ الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل .ط/: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر .الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م

(١٧) تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى . ت/د: على محمود مقلد . ط/ دار مكتبة الحياة . بيروت لبنان .

(١٨) : تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي . ت/ مجموعة من المحققين . ط / دار الهداية .

(١٩) : الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه . محمود صافي . ط/دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت . الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ .

(٢٠) : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. ت/: هشام سمير البخاري . ط/: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية . الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .

(٢١) : جامع البيان للطبري ٠ت/: أحمد محمد شاكر. ط/: مؤسسة الرسالة . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

(٢٢) : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي . ط/ دار صادر . بيروت .

(٢٣) : حاشية الطيبي على الكشاف المسماة بـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب.ط/ جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم . الطبعة الأولى : ٤٣٤ هـ– ٢٠١٣م .

(٢٤) : حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير السكندري.ضمن تفسير الكشاف .

(٢٥) الحيوان للجاحظ . ط/ دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ .

(٢٦) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون . ط/ مكتبة الخانجي، القاهرة . الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

(٢٧) : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية .د/ عبد العظيم المطعني .ط/ مكتبة وهبة . طبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

(٢٨) : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي . ت/: الدكتور أحمد محمد الخراط . ط/: دار القلم، دمشق .

(٢٩) : دراسة بيانية لمثل الرجلين في سورة الكهف.معاذ قحطان . ط/ المجلس اليمني .

(٣٠) : روح المعاني للألوسي .ت/ علي عبد الباري عطية . ط/ دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

(٣١) : زهرة التفاسير لأبي زهرة . ط/ دار الفكر العربي .

(٣٢) : زاد المسير في علم التفسير . ت/ عبد الرزاق المهدي . ط/ دار الكتاب العربي – بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ ، ومفاتيح الغيب ١٦٣/١٣ .

(٣٣) : سنن أبي داود . ط/ دار الكتاب العربي . بيروت .

(٣٤) : الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق محمد نور الدين المنجد .ط/ دار الفكر المعاصر . دمشق . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

(٣٥) الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي لحسين عطوان صـ٢٥٠ .ط/ دار الجيل . الطبعة: طبعة ثانية منقحة ١٤٠٩هـ – ٩٨٩ م.

(٣٦) : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري .ت/ أحمد عبد الغفور عطار .ط/ دار العلم للملايين – بيروت . الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٣٧) : صحيح البخاري. ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر . ط/ دار طوق النجاة . الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

(٣٨) : صحيح مسلم . ت/: محمد فؤاد عبد الباقي . ط/: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣٩) : العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي. ط/ دار الكتب العلمية – بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ .

(٤٠) عالم النبات في القرآن الكريم تأليف الدكتور عبد المنعم فهيم الهادي ، والدكتورة دينا محسن بركة . ط/دار الفكر العربي . الطبعة الأولى ١٤٥١هـ . ١٩٩٨م .

(٤١) : فتح القدير للشوكاني . ط/ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .

(٤٢) قصة الأدب في الحجاز . تأليف : عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجى صـ٤٨٥ . ط/ مكتبة الكليات الأزهرية .

(٤٣) : القول المنصف في تفسير سورة يوسف. محمد طه الباليساني . ط/الجمهورية العراقية . وزارة الأوقاف والشئون الدينية ١٩٨٣م .

(٤٤) : القاموس المحيط للفيروزآبادى . ت/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي .ط/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان .الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

(٤٥) : لسان العرب لابن منظور. ط/ دار صادر .بيروت الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ .

(٤٦) : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل د/فاضل السامرائي . تفريغ من حلقة تلفزيونية رقم ١٧٤ .

(٤٧) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير .ت/: أحمد الحوفي، بدوي طبانة . ط/: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة .

(٤٨) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني . الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ .

(٤٩) : المخصص لابن سيده . ت/ خليل إبراهم جفال .ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

(٥٠) : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للحموي .ط/ المكتبة العلمية – بيروت .

(٥١) : معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي .ت/ عبد الرزاق المهدي ط/ دار إحياء التراث العربي –بيروت .الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

(٥٢) : المعجم الوسيط . المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) .ط/ دار الدعوة.

(٥٣) : المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى . ت/: صفوان عدنان الداودي ط/: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .

(٥٤) : المحرر الوجيز لابن عطية ٠ ت/عبد السلام عبد الشافي محمد . دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة : الأولى ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م .

(٥٥) : المعجزة الكبرى القرآن . الشيخ محمد أبو زهرة . ط/ دار الفكر العربي .

(٥٦) : معجم مقاييس اللغة لابن فارس. ت/عبد السلام محمد هارون .ط/ دار الفكر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ،

(٥٧) : مفاتيح الغيب للرازي . ط/ دار إحياء التراث العربي. بيروت . الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

(٥٨) : ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للغرناطي. وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

(٥٩) : من أسرار حروف الجر. د/ محمد الأمين الخضري . طبعة مكتبة وهبة . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ . ١٩٨٩م .

(٦٠) : من آيات الإعجاز العلمي : النبات في القرآن الكريم .د/ زغلول النجار . ط/ مكتبة الشروق .

(٦١) : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم .د/ محمد بن عبد الله دراز . اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية ، وقدم له : د/ عبد العظيم المطعني . ط/ : دار القلم للنشر والتوزيع . ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م .

(٦٢) : نظم الدرر للإمام البقاعي . ت/ عبد الرزاق غالب المهدي . ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م .

(٦٣) : النظرات : لمصطفى لطفي المَنْفَلُوطي . ط/ دار الآفاق الجديدة . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

(٦٤) : نفح الأزهار في منتخبات الأشعار. للمؤلف: شاكر بن مغامس بن محفوظ بن صالح شقير البتلوني . تحقيق: إبراهيم اليازجي .ط/ المطبعة الأدبية، بيروت . الطبعة: الثالثة، ١٨٨٦ م .

****